



لغويات

اللغة والفكر والعالم

دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والنقش

الدكتور محيي الدين محاسب



لغويات

اللغة والفكر والعالم

دراسة في الشبئية اللغوية بين الفرضية والتحقق

الدكتور محيي الدين محاسب

قسم علم اللغة واللغات السامية والشرقية

كلية اللغات العربية - جامعة المنيا

مكتبة لسانات ناشرون الشركة المصرية القالدية للنشر - لوبجان

© الشركة المصرية المالية للنشر - لبنان، ١٩٩٧

١٠/١ شارع حسن واصف - ميدان الساحة، الحق، الجزيرة - مصر

مكتبة لبنان ناشرون

ص. ط. ٩٩٣٢ - ١١

بيروت - لبنان

وهذا، ويوزع في جميع أنحاء العالم

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزينه
أو تسجيله بأي وسيلة، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٨

رقم الإيداع ١٩٩٧/١٤٨٤٩

الترقيم الدولي ٦ - ٢٩٢ - ١٦ - ٩٧٧ ISBN

طبع في دار نووار للطباعة ، القاهرة

المحتويات

الصفحة	
٦ - ١	تقديم
٢٢ - ٧	الفصل الأول : جذور وإرهاصات
٤٠ - ٢٣	الفصل الثاني : وورف : ذُرْوَةُ الْقَرْصِيَّةِ
١٠٢ - ٤١	الفصل الثالث : تطورُ الْقَرْصِيَّةِ
١١٠ - ١٠٣	الخاتمة
١٣٠ - ١١١	الهوامش
١٣٦ - ١٣١	قائمة المصادر والمراجع

تقديم

لقد كُتِبَ للنظرية الأرسطية في اللغة حظٌ مرموق في تاريخ الدرس اللغوي^(١) . وهذه النظرية تقوم - كما يقول أرسطو نفسه - على أن « الكلام رمز لما في العقل ، والكتابة رمز للكلام . وكما أن حروف الكتابة ليست واحدة بالنسبة لكل البشر ، فكذلك الألفاظ . غير أن المعقولات - التي تعد هذه الألفاظ علامات مباشرة لها - واحدة بالنسبة للجميع ، وكذلك الأشياء القائمة في العالم الخارجي » ، التي تعد هذه المعقولات صوراً لها متماثلة بالنسبة للجميع .^(٢)

ومن الواضح أننا إذا نظرنا ترى اللغة انعكاساً مباشراً للفكر الذي يتسم بوجود سابق على اللغة ، فلا أثر لها في إيجاده ؛ لأنه خصيصة الإنسان بما هو إنسان ؛ ومن ثم فهذا الفكر يتسم بطابع كلي لا اختلاف بين البشر فيه . وهذا الوجود القبلي للفكر يوازيه وجود قبلي للواقع الموضوعي بأشياءه القائمة في العالم الخارجي ؛ ومن ثم فهو واقع له استقلاله الذاتي عن الملاحظ ؛ أي أن إدراكه لا يختلف من ملاحظ إلى آخر . وما ينشأ عن عملية الإدراك تلك ليس إلا الصور الذهنية التي تتماثل لدى كل قائم بهذه العملية ؛ ومن ثم فإن دور اللغة - وفق هذا التصور الأرسطي - لا يزيد على كونها

« ناقله » لهذا المحتوى اللغوي المتماثل لدى جميع البشر .

وكما يقول ستوارت تشيز S. Chase فإن هذه النظرية لم تواجه تحدياً إلا بظهور « فرضية وورف »^(٣) Whorf hypothesis ، وهي الفرضية التي يطلق عليها - بصفة عامة - فرضية النسبية اللغوية linguistic relativity ، والتي أحدثت تأثيراً واسعاً منذ العقود الوسطى من قرننا الحالي ، سواء في الفكر اللغوي ، أو الفلسفي ، أو النفسي ، أو الاجتماعي .

غير أنه إذا كان تشيز يقصد من هذا القول أن التحدي الذي واجهته النظرية الأرسطية بظهور « فرضية وورف » قد تمثل في شكل منهجي منظم عبر مقوالب من الدراسات والاختبارات والمقارنات بين أنظمة لغوية مختلفة ، وأنساق ثقافية متباينة - فإن المرء لا يملك إلا أن يوافق على ذلك . أما إذا كان يقصد أن النظرية الأرسطية قد ظلت مقبولة ومهيمنة عبر تاريخ الدرس اللغوي الإنساني - فإن ذلك يخالفه حقائق تطوّر هذا الدرس .

ولعل في هذا السياق أقف عند تلك المحاولة المتميزة التي قدّمها الدرس اللغوي العربي من خلال تلك المناظرة الشهيرة بين التحوي : أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، والمنطقي : أبي بشر متى بن يونس (ت ٣٦٠ هـ) . وهي محاولة لم يكتب لها أن تستمر في شكل منهجي لتطوير موقف نظري يعتمد أساساً فلسفياً متماسكاً ، ويستمد استدلالاته من وقائع نظم لغوية متغايرة ، ومع ذلك فإن رصد بعض توجهات أبي سعيد السيرافي خلال هذه المناظرة ، ورفضه للأساس الذي تقوم عليه النظرية المنطقية أمر يستحق أن نجليه ؛ وذلك لقيعته التاريخية من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتصحيح ما

يُمْكِنُ أَنْ يَنْشَأَ مِنْ وَهْمِ اسْتِحْوَازِ النَّظَرِيَةِ الْأَرِسْطِيَّةِ لِلْقَبُولِ التَّامِّ غَيْرَ مَسِيرَةِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْإِنْسَانِيِّ حَتَّى ظَهَرَ « قَرَضِيَّةٌ وَورف » .

وَأَوَّلُ مَا يُلَاحَظُ - فِي هَذَا السِّيَاقِ - أَنَّ السِّيَرِاقِيَّ يُدْرِكُ ارْتِبَاطَ الْمَنْطِقِ الْيُونَانِيِّ الْأَرِسْطِيِّ بِاللُّغَةِ الَّتِي أُنتِجَ بِهَا ، فَ« الْمَنْطِقُ وَضَعَهُ رَجُلٌ مِنْ يُونَانَ عَلَى لُغَةِ أَهْلِهَا وَاصْطِلَاحِهِمْ عَلَيْهَا ، وَمَا يَتَعَارَفُونَهُ بِهَا مِنْ رَسُومِهَا وَصِفَاتِهَا . » ^(٤) وَهُوَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْمَقْدِمَةِ الْأُولَى يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ الْمَفَاهِيمَ وَالْقَوَائِينَ وَالْمَصْطَلَحَاتِ الَّتِي يَعْرِضُهَا هَذَا الْمَنْطِقُ إِنَّمَا هِيَ مَا أَتَاحَتْهُ الْيُونَانِيَّةُ لِأَرِسْطُو ؛ أَيِ طَرِيقَتِهَا فِي بِنَاءِ مَنَظِقِهَا الْخَاصِّ الَّذِي تَعَارَفَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهَا . فَهَذَا الْمَنْطِقُ - إِذَنْ - مَرْكَبَاتٌ لُغَوِيَّةٌ تَكْسِبُ دِلَالَتَهَا فِي الْوَسْطِ اللُّغَوِيِّ الْخَاصِّ الَّذِي أَفْرَزَهَا . وَبِالتَّالِي فَقَدْ لَا يَوْجَدُ - فِي وَسْطِ لُغَوِيٍّ مُخْتَلِفٍ - مَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤَدِّيَ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ ، أَوْ قَدْ تَتَحَوَّرُ بِكَيْفِيَّةٍ مُقَابِرَةٍ ؛ وَمِنْ ثَمَّ « فَمَنْ أَيْنَ يُلْزَمُ التُّرْكُ وَالْهِنْدُ وَالْفَرَسُ وَالْعَرَبُ أَنْ يَنْظُرُوا فِيهِ [الْمَنْطِقُ] وَيَتَخَفَّوهُ قَاضِيًا وَحَكَمًا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ؟ » ^(٥)

فَالْمَنْطِقُ الْأَرِسْطِيُّ - وَفَقَّ مَا تَوَدَّ بِهِ عِبَارَةُ السِّيَرِاقِيَّ - ابْنُ نِظَامِهِ اللُّغَوِيِّ . وَلَوْ أَنَّ هَذَا الْمَنْطِقَ وَضَعَ أَوْ نَشَأَ فِي نِظَامِ لُغَوِيٍّ آخَرَ لَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَتَغَيَّرَ صُورَةُ قَوَائِينِهِ . وَمِثْلَمَا أَنَا نَحْنُ « صَعُوبَةٌ شَدِيدَةٌ فِي الْكِتَابَةِ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيعِيَّاتِ بِلُغَةِ الْبُوشْمَانِ ، أَوْ بِلُغَاتِ سُكَّانِ أَسْتْرَالِيَا الْأَصْلِيِّينَ » ^(٦) - فَإِنَّا إِذَا « افْتَرَضْنَا أَنَّ أَرِسْطُو كَانَ يَتَكَلَّمُ اللُّغَةَ الصِّينِيَّةَ ، أَوْ لُغَةَ الدَّاكُوتَا Dakota ، فَإِنَّ مَنَظِقَهُ وَمَقُولَاتِهِ كَانَتْ سَتَانِيَّ بِشَكْلِ مُخْتَلِفٍ » ^(٧) ، أَوْ « إِذَا افْتَرَضْنَا أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ الصِّينِيَّةَ أَوْ الْهُوبِيَّةَ Hopi لَكُنَّا الْآنَ نُعَالِجُ نَوْعًا مُخْتَلَفًا

من المنطق (أكبر احتمال فيه أنه لا يحتوي على قانون الوسط المرفوع) ^(٨) ، وكذلك إذا افترضنا أن « أينشتين كان صينيًا ، أو كان من الإسكيمو ، أو من الهوبيين فإنه - من خلال عاداته اللغوية - كان سيكتشف تصورات رياضية مختلفة كليًا ليفهم بها الواقع . » ^(٩)

ومن هنا بدت الدَّعوةُ إلى تعلُّم المنطق اليوناني ، والاحتكام إلى قوانينه - في نظر السيراقي - دعوة إلى تعلُّم اليونانية ، والاحتكام إلى « أغراضها المعقولة » ؛ أي إلى رؤيتها الخاصة . وهي دعوة لا تستند إلا إلى تحكم مَحْض ؛ لأن مُحَصِّلَتِهَا النَّهائِيَّةُ توصل إلى أنه « لا حُجَّةٌ إلا عقول يونان ، ولا بُرْهان إلا ما وضعوه ، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه » ^(١٠) ، وهذا ما يدحضه النَّظَرُ إلى اختصاص كل أمة بـ « عِلْم » دون « علم » ، و « صِنَاعَة » دون « صناعة » ^(١١) ؛ أي - بتعبيرنا المعاصر - اختصاص كل أمة ، وكل نَسَقٍ ثقافي ، بممارسة فكرية أو عملية لها خصوصيتها ؛ وذلك لأن « الاختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سُبُحٌ وطبيعة . » ^(١٢)

ويقرب السيراقي - بشكل واضح - من فكرة « نِسْبَةِ اللغات » ، وذلك عندما يشير إلى أن أي « لغة من اللغات لا تُطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدودها وصفاتها ، في أسمائها وأفعالها وحروفها ، وتأليفها وتقديمها وتأخيرها ، واستعارتها وتحقيقها ، وتشديدتها وتخفيفها ، وسعتها وضيقها ، ونظمها ونثرها وسجعها . » ^(١٣)

وما دام الأمر كذلك فإن ما يترتب هو أعجز « الترجمَة » عن التوفيق بأغراض المفاهيم التي تحملها اللغة المنقول عنها ؛ فليس « في طبائع اللغات

• تقديم

ولا في مقادير المعاني ، ^(١٤) أن تأتي الترجمة وما ، نقصت ولا زادت ، ولا قدّمت ولا أخرت ، ولا أغلّت بمعنى الخاص والعام ، ولا بأخصّ الخاص ولا بأعم العام . ^(١٥)

وكما سيّبدى في صفّحات هذا البحث فإن اختلاف الأنماط اللغوية ، وإشكالية الترجمة بين اللغات ثمّلاًن محورين أساسيين من محاور النقاش في إطار قرّضية النسبية اللغوية . ولكن تبقى قضية تأثير اللغة في تشكيل المعرفة والفكر ، وهي القضية التي ستستحوذ على نقاش مُمتدّ في هذا الإطار . وأعتقد أنه من الصّعب - على الأقل بالنسبة لي - استخلاص موقف واضح - من خلال مُناظرة السّيرافي - بصّد هذه القضية . بل أكاد أزعّم أنه من غير المتوقّع أن نجد لدى رواد التفكير اللغوي العربي طرّحاً لقضية أن اللغة هي التي « تشكّل وتحدّد » المعرفة والإدراك ورؤية الحياة ؛ وذلك لأنّ مثل هذا الطّرح يتصادم والمبدأ الإسلامي القائم على أن « الله » - تعالى - هو الذي علّم الإنسان « البيان » ، وأنه هو الذي « ألهم » النّفس « فجورها وتقواها » ؛ ومن ثمّ فال تصوّر الشائع الذي نجده لدى هؤلاء الرواد هو أن اللغة تقوم بدور « الناقل » أو « المعبر » عن الفكر ، وليس دور « المشكّل » له ، كما هو الطّرح في قرّضية وورف .

وعلى أية حال فإن هذا البحث يحاول أن يقنّم صورة للتراث العلمي الذي تطوّرت - من خلاله - قرّضية النسبية اللغوية في الفكر الدلالي الحديث ، وذلك بالكشف عن الأسس الفكرية ، والاستدلالات اللغوية التي قامت عليها ، والكشف عن النتائج التي أسفرت عنها ، والنقد الذي وجّه

إليها ، وتعديلاتها المقترحة . وسأحاول خلال ذلك أن أقدم أمثلة ونماذج من العربية مُقَابِلَة بأمثلة ونماذج من لغات أخرى ؛ لعل في ذلك ما يمكن أن يكون إسهامًا لجلاء بعض جوانب هذه الفرضية أمام القارئ العربي ، ولعل فيه أيضًا ما يقدم إسهامًا في سبيل الكشف عن منطوق العربية في إدراك الظواهر .
والله أسأل أن يُهَيِّئَ لي من أمري رَشْدًا .

د. محيي الدين محاسب

الفصل الأول جذور وإرهاصات

لا شك أن ثمة جهوداً وأفكاراً قد سبقت وورف في مجال الكشف عن الدور الذي تلعبه اللغة في تحديد ملامح الهوية الثقافية ، وفي تشكيل رؤية الواقع والكون لدى أي مجتمع من المجتمعات

وهي هذا السياق يشير وورف نفسه إلى نخوي فرنسي عاش في أواخر القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر ، ويدعى . أنطون فير دي أوليفر (١٧٦٨-١٨٢٥) فلقد أشار هذا النخوي - خلال كتابه « تأصيل اللغة العبرية » الذي ظهر سنة ١٨١٥ - إلى أن الكلام « ليس ملكة تُعجّد في غليائها الخاصة ، وإنما هو شيء لا بد أن يفهم في ضوء السلوك والثقافة الإنسانية اللذين هو جزء منهما »^(١) ومؤدى هذه الفكرة أن « الكلام » لا يسغي دراسته بوصفه ملكة إنسانية مطلقة ، وإنما بوصفه مسألة مرتبطة بالإطار الثقافي المعين ، حيث يشكل « الكلام » جزءاً من الممارسة السلوكية والثقافية لهذا الإطار

كذلك يشير وورف إلى نخوي إيرلندي يُدعى جيمس بيرن (١٨٢٠-١٨٩٨) قام بوضع كتاب كبير بعنوان « المادى العامة لتركيب اللغة » ظهر سنة ١٨٨٥ وفي هذا الكتاب قلم بيرن فكرته القائلة بأن

« دئمة ارتباطاً بين بنية اللغة والبنية العقلية السائدة في مجتمع ما »^(٢) وفي سياق هذه الفكرة أشار بيرن إلى وجود نمطين من البنية العقلية هما نمط البنية العقلية سريعة ردّ الفعل ، سريعة التفكير ، سريعة الاستثارة ، ونمط البنية العقلية بطيئة ردّ الفعل ، بطيئة التفكير ، ولكنها أكثر عمقاً وبروداً . وقد ذهب بيرن إلى أن النمط الأول يتوافق واللغة ذات البنية البسيطة ، والتركيب غير المعقد ، والرعة التحليلية وإذا تطرف هذا النمط الذهني فإنه يتوافق واللغة العارلة أما النمط الثاني فقد ذهب بيرن إلى أنه يسمح واللغة ذات الطابع التركيبي ، والبنية شديدة التعقيد ، وكثرة الاشتقاق وباء الكلمات وإذا تطرف هذا النمط فإنه يتوافق واللغة ذات التعقيد التركيبي polysynthesis^(٣)

وعلى الرغم من تركيز وورف على هذين النحويين فإن آراءهما يلزم ألا تؤخذ بمعزل عن الجذور الحقيقية لفرضية السئية وهذا ما يمكن التماسه بشكل واضح - لدى فلاسفة المثالية الرومانسية الألمانية في القرن الثامن عشر في سياق هجومهم على المفهوم الذي ساد في عصر النهضة ، والذي كان امتداداً للنظرية الأرسطية القائلة بأن اللغة تالية لوجود الفكر ، وأنها ليست إلا « ناقله » لمحتواه . ومن بين هؤلاء الفلاسفة يمكن التوقف عند علمين مرموقين ، هما : يوهان هيردر J. Herder (١٧٤٤ - ١٨٠٣) ، وفيلهلم هومبولت W. Humboldt (١٧٦٢ - ١٨٣٥)

هيردر

لقد أكد هيردر أن « الروح الإنسانية تفكر بالكلمات » ، وأما « باللغة تتعلم التفكير » ، ومن ثم فإنها إذا أردنا تحليل الفكر ، فليس من وسيلة إلا

تحليل اللُّغة. ^(٤) وهذا المنطق هو الذي قاد هيردر إلى رصد العلاقة المتوارية بين اختلاف الأساق اللُّغوية ، واختلاف أساق التفكير ؛ « فكل أمة تمتلك رصيذاً خاصاً من الأفكار التي تتحول إلى رموز هي لعتها القومية » ^(٥) كذلك قاده هذا المنطق إلى تقرير أن الشُّكل اللُّغوي لا يعمل - فقط - لمجرد أداء المعنى ، وإنما هو أيضاً - أمر يميز اللغة التي توجد من خلاله ؛ ومن ثم فالاستعارة - مثلاً - لا تحكمها مادي عامة في كل اللغات ، ولكنها ذات خصائص شكلية لصيقة بطبيعة كل لغة ومن خلال هذا التأكيد على خصوصية الشكل يصل هيردر إلى القول بالخصوصية الدلالية ، ومن ثم الخصوصية الثقافية ^(٦)

ولعلّ تلخيصاً مركزاً لخواهر رؤية هيردر تُبرره بشكل واضح - تلك العبارة التي يسوقها سيرسن « إن الأمة تُفصح عن روحها في الكلمات التي تستعملها » ^(٧) وهي عبارة تؤكد ذلك الطابع الذي وسّم التفكير المثالي الرومانسي الذي يطلق من فكرة « الروح » وهو الطابع نفسه الذي سجده يتردد لدى المثالي الرومانسي الآخر فيلهلم فون همبولت ، ولعله يستحق - في هذا السياق - إشارة خاصة

همبولت

إن همبولت كما يقول رويز - من اللُّغويين الذين لم يُعطهم التاريخ حقهم بوصفه أحد مؤسسي الفكر اللُّغوي الحديث ^(٨) غير أننا - بطبيعة الحال - لن نعرض هنا لمجمل نظرية همبولت اللُّغوية ^(٩) ، ولكنا سنقف عند بعض المبادئ التي تشكّل جدوراً عميقة لنظرية السُّنية اللُّغوية

ولعل أهم هذه المادئ تأكيد همبولت فردية كل لغة إنسانية ، سواء في شكلها البائي أو محتواها الثقافي . ولقد كان التعبير الواضح عن مُحَصِّلَة دراساته في التَّوَعَّات اللُّغوية ورصد تباين الرؤى الثقافية تأكيداً أن « لغة كل شعب هي روحه ، وأن روح كل شعب هي لُغته »^(١٠) ، وكذلك تأكيداً أن « اللغة هي المظهر الذي يكشف عن عقل الأمة ؛ فاللغة هي عقلها ، وعقلها هو لُغتها »^(١١) ومن خلال هذا المُتَطَلَق يربط همبولت بين خصوصية التفكير والإدراك وخصوصية اللغة ؛ وذلك لأن « التفكير والإدراك لا يُمكن أن يتحددا وأن يتسما بقابلية التَّوصيل إلا من خلال اللغة ؛ ومن ثم فاللغة والتفكير لا يقبلان الانفصال ، وليساً مُستَقِلَّين »^(١٢) وإذا كان الأمر كذلك فإن « الاختلافات القائمة بين اللُّغات ليست مجرد اختلافات صوتية ، بل إنها تنطوي على اختلافات في تفسير العالم وفهمه من قبل المُتَكَلِّمين بكل لغة »^(١٣)

ولقد قادت هذه النُقطة الأخيرة إلى تقرير همبولت لمبدأ « المساواة بين اللُّغات » ، وهو المبدأ الذي سيُشجِّع تأكيداً فيما بعد وهو يقول في هذا الصُّدد : « ليس ثمة لغة يسغى احتقارها أو التقليل من قيمتها ، حتى لغات تلك القبائل الأكثر بُدائية ؛ وذلك لأن كل لغة هي صورة للتهيؤ الأصيل في الإنسان للغة »^(١٤)

ومن ثم يتحدث همبولت عن الميراث الخاصة للغات ، ومن ذلك حديثه عن احتفاظ اللُّغات السَّامية بمن « يشير الإعجاب » - كما يقول - وهو تلك التَّمييزات اللَّطيفة للمعنى التي تؤدِّيها التَّلَوُّنات الكثيرة للحركات vowels^(١٥) ، وكذلك حديثه عن أد طريقة اليونانية في تكوين كَلِمَاتِها ،

وتصريفاتها ، وتأليفاتها تثبت التوافق بينها وبين الشخصية اليونانية ^(١٦)
إلخ

إن تقرير همبولت بأن « التفكير لا يعتمد على اللغة في عمومها ، وإنما
يعتمد - إلى درجة مُعَيَّنة - على كل لغة بداتها » ^(١٧) - قد ساقه إلى تقرير
آخر ؛ وهو أن الدين « يتحدثون لغات مُختلفة يعيشون - إلى حد ما - في
عوالم مُختلفة ، وتتكون لديهم أساق مُختلفة من التفكير » ^(١٨)

ومن هنا المَنظور أيضاً يلخص همبولت فكرة استحالة قيام ترجمة أمية
بشكل تام بين اللغات ، وذلك يرجع إلى أن هناك « عدداً كبيراً جداً من
المفاهيم والخصائص النحوية التي تبلغ درجة تعلقها في النسيج الخاص للغة
حداً لا يمكن معه ترجمتها من لغة إلى لغة أخرى » ^(١٩)

وسيتضح فيما يلي من هذا البحث أن هذه الأفكار التي أرساها همبولت
ستشكل عاصر أساسية في كتابات وورف ، ولعل ذلك هو ما جعل بعض
الباحثين يصعق فرضية النسبية اللغوية تحت عنوان « فرضية همبولت - ساير -
وورف » ، دلالة على إسهام همبولت في صياغة أمسها

ولكن قبل مُعاصرة هذه القضية فإنني أرى وجوب الإشارة إلى مسألة
مُهمّة ، وهي أنه على الرغم من كل تقارير همبولت التي تؤكد إسهامه في
صياغة أمس النسبية اللغوية ؛ فإن الباحثين يُشيرون إلى وجود خط آخر في
كتاباتهم يميل فيه إلى القول بإمكانية وجود نحو عام universal grammar ،
على الرغم من الاختلافات والتنوعات اللغوية ويعزو هؤلاء الباحثون ذلك
إلى تأثير فلسفة كانط Kant في المعرفة القبلية a priori ، وتأثير مدرسة « يور

رويال ، الفَرَسِيَّة التي أسهمت - بشكل أساسي - في مُحاولَة صياغة هذا النحو العام^(٢١) ولعل ذلك هو ما جعل اقتراح فرسية السُّنِّيَّة اللُّعوية باسم وورف بوصفه المدافع الأقوى عنها بشكل متسق - أمراً له العَلَبَة والشُّبُوح عند التصدي لتاريخها وتحليل أبعادها

وعلى أية حال فإنه مع مَطْلَع القرن العشرين بدأت مثل هذه الأفكار السُّنِّيَّة تأخذ مَهَيَّةً عِلْمِيَّةً أكثر دِقَّةً وتفصيلاً ، وبحاجة من خلال إردباد الكشوف الأنثروبولوجية لأنماط لُغوية متنوعة لم تكن قد نالت حظّها من الوصف

وفي هذا الشّياق نقف عند معلمين مُهمّين من معالم الأنثروبولوجيا اللُّعوية ، كان لهما دورٌ واضح في تطوّر نظرية السُّنِّيَّة اللُّعوية ، وهما فرانر بواس ، وإدوارد ساير

فرانر بواس F. Boas (١٨٥٨ - ١٩٤٢)

يُعدّ فرانر بواس الرائد المرموق للأنثروبولوجيا اللُّعوية الأمريكية ويكفي للدلالة على تأثيره الصّخْم في المِكر اللُّعوي الحديث أن يُشار إلى بعض تلاميذه الذين أصبحوا معالِم وأصبحت في حركة هذا الفكر خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين - ساير ، وكروير ، ويلوميلد

ويوضح لنا كروير مَهَيَّة أستاذة بقوله : « بدأت بحوث بواس تظهر في العقد الأخير من القرن التاسع عشر » ، وهي بحوث ذات أهمية مُرْدِجَة : فلقد أدرك بواس - أولاً - أن وصف كل لغة في حدود تكوينها الخاص أمرٌ أساسي ، وذلك بدلاً من وصفيها وفق مُحطّط تجريدي مسبق ، لن يصل - في

الواقع العملي إلى أكثر من مجرد تحويل للنحو اللاتيني . كما أدرك بواس -
ثانيًا - ضرورة وضع القواعد والمُعْجَمات المروّنة بموتة موثقة من النصوص
بلعائها الأصلية .^(٢٢)

ومن الواضح أن هذه المنهجية التي تركز على وصف التكوين الخاص
لكل لغة لا يد أن تُعْصِي إلى استخلاص استقلالية اللغات ، أو بعبارة أخرى :
إلى استخلاص نماير كل لغة في تجسيد منطقتها السبوي الذي ينعكس تمايز
منطقها الثقافي . وهذا التمايز هو ما أطلق عليه هوبولت « الرؤية الكونية
الشاملة » Weltanschauung ، وهو المفهوم الذي يُشار إلى أن بواس هو أول
من أدخله إلى التفكير الأنثروبولوجي الأمريكي^(٢٣)

غير أن ما يهمنا هنا يشكل أساسي هو التعرف على رؤية بواس لقضية
السببية اللغوية ، وهي الرؤية التي أثرت بلا شك - في فكر وورف
اللغوي^(٢٤)*

يقول بواس : « في كل كلام منطوق تعمل مجموعة الأصوات المنطوقة
من أجل أداء الأفكار وكل مجموعة من الأصوات لها معنى مُعَيَّن
واللغات لا تختلف فقط في طبيعة عناصرها الصوتية ، بل تختلف أيضًا
- في مجموعات الأفكار المعبر عنها في مجموعات صوتية مُحددة »^(٢٥)

ومن الواضح أن هذه الفكرة ليست جديدة تمامًا ، فقد رأيناها ، منذ
قليل ، عند هوبولت ويبدو أنها نتيجة يتوصل إليها كل من يقترب من واقع
التنوعات اللغوية وعلى أية حال فلندع بواس يريد الفكرة توصيفًا حيث
يقول : « إن العدد الكلي للتأليفات الممكنة من العناصر الصوتية غير

محدود غير أن عدداً محدوداً - فقط - من هذه التأليفات يستعمل في التعبير عن الأفكار وهذا يتطوي - صغماً - على أن العدد الكلي من الأفكار التي تعبّر عنها هذه المجموعات الصوتية المحدودة محدودة في العدد أيضاً وحيث إن المدى الكلي للتجربة الشخصية التي تقوم اللغة بالتعبير عنها متنوع بدرجة لا محدودة ، وحيث إن المجال الكلي لهذه التجربة لا بد أن يعبر عنه بواسطة عدد محدود من المجموعات الصوتية - فإن من الواضح أن تصنيفاً موسعاً للتجارب لا بد أن يشكل أساس كل كلام مطوق ،^(٢٦)

هذا الاستدلال الذي يقلّمه بواس يعتمد على حقيقة بسيطة ، وهي أن هناك إمكانية نظرية لتأليف عدد لا نهائي من المجموعات الصوتية (= الكلمات مثلاً) ولكن الواقع يربنا أن المستعمل في كل لغة هو عدد محدود من المجموعات الصوتية التي تعبّر عن الأفكار ومعنى ذلك أن الأفكار - أيضاً - ذات عدد محدود ولكن التجارب التي يبرّتها الشخص ، والتي تعبّر عنها باللغة ، متنوعة ومتغيرة بدرجة لا محدودة فكيف يتمق ذلك ومحدودية الأفكار ؟ إن حلّ هذه الإشكالية - هي تصوّر بواس - يكمن في امتدادات التصنيف ، حيث تصوّر التجارب المتماثلة تحت إطار فكرة عامة معينة وهذا - كما يقول بواس - يتطابق و سمة أساسية في الفكر الإنساني ، « ففي تجربتنا الواقعية ليس ثمة انطباعان حسيّان ، أو حالتان عاطفيتان متماثلتان تماماً ، ومع ذلك نحن نصنّف هذه الانطباعات ، أو الحالات ، طبقاً للتشابهات القائمة فيما بينها في مجموعات أوسع ، أو أضيق ، يمكن تعيين حدودها من خلال عدد متغير من وجهات النظر وعلى الرغم من فروقها الفردية فإننا نغير من خلال تجاربنا العناصر العامة ونعتبرها

مُتَقَارِبَةٌ أو حتى مُشَابِهَةٌ بناءً على عدد كافٍ من السمات المُعَيِّرة التي تشترك فيها بشكل عام^(٢٧)

وإذا ما أردنا أن نصل إلى المعنى النهائي لهذه الفكرة التي يعرضها يواس ، فإما نجد أنها توصل إلى القول بأن اللغة هي صورة لواقع التجريبية التي تعبر عنها - أي اللغة - تعبر عن هذا الواقع - الذي لا يتناهى في طرح أشكال متنوعة من التجارب والعلاقات والحالات إلخ - عن طريق مبدأ التصنيف ، أو التسمي classification ، ومن ثم فإن تمايز اللغات في وضع تصنيفات الواقع يعكس تمايزات ثقافية مختلفة ، أو لنقل إنه يعكس تمايزات « أنماط ثقافية » حسب اصطلاح يواس^(٢٨)

ومن الواضح أن يواس - هنا - يرى أن العكس ليس - كما كان يعتقد أرسطو - أمراً كلياً ذا طبيعة عامة بين الشر جميعاً ، بل هو أي العكس - يتسم بطابع خصوصية الثقافية التي أنتجته ، والتي تعكسها كل لغة وفق نظامها الخاص

لقد كان الاهتمام بعلاقة اللغة بالجواب السيكولوجية المدخل الذي انطلق منه يواس في وضع أسس نظرية السنية اللغوية ، كما أن هذه الجواب كانت مدخله لربط علم اللغة بالإنثولوجيا

يقول يواس : « إن البحث اللغوي الخالص جزء من الفحص الدقيق لسيكولوجية شعوب العالم وإذا ما فهمت الإنثولوجيا على أنها العلم الذي يُعالج الظواهر العقلية في حياة شعوب العالم ، فإن اللغة الإنسانية وهي أحد أهم مظاهر الحياة العقلية - تبدو مُشَمِّمةً بشكل طبيعي - إلى مجال علم الإنثولوجيا »^(٢٩)

ولقد كان من الطبيعي أن يؤدي هذا الربط بين الطواهر اللغوية والبنية السيكولوجية إلى إدراك التنوعات اللغوية واختلافها في تجسيد الأفكار فإذا كانت اللغة العربية مثلاً - تجسد فكرة « الماء » من خلال عدد من الوحدات المعجمية المختلفة باختلاف مكانه مثل : البحر ، والنهر ، والخير ، والعدير ، وباختلاف نوعه مثل : المطر ، والندى ، وباختلاف درجة قوته مثل : السيل ، والغياب ، والأمواج ، والعمر ، والرق ، والناطف ؛ وباختلاف طعمه مثل : الغذب ، والرلال ، والرصاص ، والرعاق ، والسبح ، والمالح ، والأجاج^(٣٠) أقول - إذا كانت العربية تعمل ذلك فإن هذه الفكرة - « الماء » ربما يعبر عنها في لغة أخرى ليس عن طريق وضع لفظ مستقل لكل هذه الأشكال المختلفة ، بل مثلاً عن طريق الاشتقاق من أصل واحد ، وذلك كما تعمل لغة « الداكوتا » Dakota في التعبير عن فكرة « الصرب » naxta'ka ، و « الربط » paxta'ka و « التشبث بـ » yaxta'ka ، و « الاقتراب من » k'axta'ka ، و « السحق » boxta'ka - عن طريق الاشتقاق من العنصر اللغوي العام xta'ka ، بمعنى « الإمساك بالشيء »^(٣١) ومن ثم يتوصل بواس إلى أن كل لغة تبدو من خلال وجهة نظر لغة أخرى - عشوائية في نصيغاتها ، لدرجة أن ما يبدو فكرة بسيطة واحدة في لغة ما ، ربما يتجسد عن طريق سلسلة من المجموعات الصوتية المتمايزة في لغة أخرى^(٣٢)

وإطلاقاً من هذه الفكرة الأساسية يسوق بواس عدداً من الاستدلالات اللغوية التي تكشف عن واقع التمايزات القائمة بين اللغات الإنسانية في تجسيد مقولات مثل : الجنس ، والجمع ، والحالة ، والزمن ، والضمائر

الشخصية، وضمائر الإشارة . إلخ (٣٣) ويصل بواس من خلال ذلك كله إلى إبداء رأيه في مسألة العلاقة بين اللغة والعكر وهو - في هذا السياق - يأخذ قضية « القدرة على التعميم والتعمير التجريدي » - باعتبار أنها تمثل جوهر العكر - ليقول : إن ما نجده في بعض اللغات الثنائية من قصور في التعميم والتجريد ليس مرده إلى الطبيعة الشكلية للغة ، وإنما مرده إلى السياق الثقافي الذي يعيش فيه المتحدثون بهذه اللغة (٣٤)

ولعل الأمر الواضح من كل ما سبق هو أن الإسهام الأساسي لبواس في صياغة أسس السنية اللغوية قد تمثل في تركيزه على قضية أن الاختلافات اللغوية تعني اختلافات ثقافية . ولقد ساعده عمله في دراسة لغات الهود الحمر - بتوثقاتها الهائلة على إدراك هذه المسألة بوضوح أما مسألة سيطرة اللغة على تشكيل العكر والإدراك ، فإنها ستنتظر المدافع القوي عنها ، متجسداً في شخص وورف .

إدوارد ساير Edward Sapir (١٨٨٤ - ١٩٣٩)

لقد تابع ساير - بتميز وإسهام أكبر منهجية أستاذه ولعل اشتغاله بالعمل الميداني في وصف عدد متنوع من اللغات ، ربما أكثر من أي شخص آخر منذ وقته - كما يقول هايس - (٣٥) قد هباً له الافتراء من حقيقة التنوعات اللغوية التي تفرص أو تعكس التنوعات الثقافية

ولبدأ مع ساير في تحديد طبيعة العلاقة بين اللغة والفاعلية الاجتماعية التي هي تعبير عنها ، أو التي هي - بتعبير ينسجم والمكرة التي يعرضها ساير هنا - شرط جوهري يحدد سمات هذه الفاعلية وتوجهاتها

بقول ساير ٠ « على الرغم من أن اللغة لا يُنظر إليها - عادة - على أنها ذات أهمية جوهرية بالنسبة للدارسي العلوم الاجتماعية ، إلا أنها هي التي تتحكم في كل تفكيرنا حول المشكلات والعمليات الاجتماعية إن الشر لا يعيشون في العالم الموضوعي وخذهم ، كما أنهم لا يعيشون وخذهم في عالم العملية الاجتماعية كما معهم عادة إن البشر يعيشون إلى حد كبير - تحت رحمة اللغة التي هي وسيلة التعبير عن مجتمعهم وإنه لوهم تمامًا أن نتحيل أن الفرد يتكيف مع الواقع - بشكل جوهري - بدون استعمال اللغة . أو أن نتحيل أن اللغة هي مجرد وسيلة عرصة لحل مشكلات معينة في الاتصال أو التفكير ، حقيقة الأمر هي أن العالم الواقعي مبني - إلى حد كبير ويشكل لا واع - على العادات اللغوية للجماعة وليس ثمة لغتان متماثلتان - بشكل تام - لكي نعلمهما ممثلتين لواقع اجتماعي بعينه إن أشكال العالم التي تعيش فيها مجتمعات متعايرة أشكال متعايرة ، وليست مجرد عالم واحد بعينه له تسميات مختلفة » (٣٦)

وحول هذا النص الذي يشيع اقتباسه في الدراسات التي تناولت نظرية النسبة اللغوية هالك ملاحظتان أجملهما على النحو التالي ٠

١ إن هذا النص يجسد صورة من اختلاف الرؤية بالنسبة للغة ما بين الأنثروبولوجيين و رواد علم الاجتماع الذين سبقوا ساير فقد نظر الأنثروبولوجيون إلى اللغة على أنها مكون أساسي من مكونات ثقافة الشعب الذي يستخدمها ، وبالتالي فإنهم تعلقوا في التحليلات اللغوية بحالاتها المختلفة أما علماء الاجتماع - وبخاصة فيما تمثله آراء ميد Mead و دوركايم Durkheim فقد نظروا إلى اللغة على أنها « معلّم ثابت ودو وجود كلي في

كل مجتمع ، ومن هنا كان فشلهم في إدراك تأثيرها العليّ في الحدث الاجتماعي ، (٣٧) ومن خلال إدراك هذا التأثير العليّ يؤكد ساير من منظور أنثروبولوجي - فكرة هيمنة اللغة على العاقلية الاجتماعية وللاحظ ذلك التأكيد الخاد من جانب ساير على فكرة تحكم اللغة في (كل) تعكيراً .

٢- ومثلما يؤكد ساير فكرة هيمنة اللغة على تعكير العاقلية الاجتماعية ، وهي الفكرة التي أطلق عليها - فيما بعد - تسمية « الحتمية اللغوية » ، فإنه يؤكد كذلك حقيقة التمايزات اللغوية التي تتجلى تمايزات ثقافية ، أو « عوالم مختلفة » على حدّ تعبيره وهذا ما عُرف أيضاً باسم « النسبية اللغوية » وهاتان القصيتان اللتان وجدنا يدورهما عند هوبنوت ، واللذان سترران عند وورف بصفة خاصة ، تمثلان محورين أساسيين في نظرية النسبية اللغوية وسجد فيما بعد - أن تساؤلات الباحثين لهذه النظرية قد تمايزت بقدر تأكيدها هذا المحور أو ذاك ، أو تأكيدهما معاً ، أو التشكيك في الحكم بإطلاقهما

وفي هذا السياق يشير ديل هايمس إلى أن المَرصِيَّة الأولى « السيطرة الطاعية التي يهيمن بها الشكل اللغوي - حال تكوُّنه واكتسابه على توجُّهها في العالم) قد قادت ساير إلى محاولة اكتشاف المفاهيم الأساسية التي تمثل مبادئ لتحديد أنماط اللغات كما يشير هايمس إلى أن المَرصِيَّة الثانية (عدم التكافؤ بين اللغات) قد قادت إلى الإقرار بالاستقلالية الذاتية لكل شكل لغوي (٣٨)

ومع ذلك فإن الرجوع إلى كتاب ساير الشهير « اللغة - مقدمة لدراسة الكلام » يؤكد تلك الملاحظة التي لاحظها من قبل ديل هايمس (٣٩) ، وهي

أن هاتين الفرضيتين قد اتسمتا في هذا الكتاب باتجاه سلبي نحو قضية العلاقة بين الشكل اللغوي ونمط الثقافة

في هذا الكتاب يقول ساير : « من السهل أن نوصح أن اللغة والثقافة ليستا - بشكل فعلي - مرتبطتين ، فثمة لغات - لا صلة بينها كلياً - تشترك في ثقافة واحدة ، وثمة لغات وثيقة الصلة - بل أحياناً لغة واحدة - تنتمي إلى مجالات ثقافية متمايزة . وهناك عداج حيدة كثيرة لذلك في لغات أهل أمريكا الأصليين » (٤٠) .

ويؤكد ساير ذلك بعبارات أخرى منها قوله : « إن كل المحاولات التي استهدفت ربط أنماط معينة من البنية اللغوية بمراحل معينة من التطور الثقافي هي محاولات بعير طائل » (٤١) وكذلك قوله : « من المستحيل أن نرهن على أن شكل لغة ما له أدنى صلة بالمزاج القومي » (٤٢) وأخيراً قوله : « ليس ثمة علاقة سببية عميقة بين تطور اللغة وتطور معين للجس أو الثقافة » (٤٣) .

والسؤال الذي يودُّ الباحث مُحاولَةً الإجابة عنه هو : كيف يُمكن فهم مقولة ساير التي تذهب إلى هيمنة اللغة على تمكيد الماعلية الاجتماعية ؟ أي على رؤية النمط الثقافي ، في ضوء هذه العبارات التي وردت في كتابه ؟

وربما يلزم أولاً أن يُشار - هنا - إلى ما ورد في الكتاب أيضاً من عبارات يجب صمغها إلى سياق المناقشة الراهنة ؛ لعل في ذلك ما يساعد في محاولة الإجابة عن السؤال المطروح .

يقول ساير : « ليست اللغة والجس والثقافة أموراً مترابطة بالضرورة

وهذا لا يعني أنها أمورٌ غير مُترابطة بشكل مُطلق . فهناك - في الحقيقة -
تُرويح من خطوط الانعصال الثقافي والجسدي صوت مواراة خطوط الانعصال
اللغوي ، وذلك على الرغم من أن هذه الأخيرة - في حالات معينة ربما لا
تكون بدرجة الأهمية نفسها التي للأخرى ،^(٤٤)

وكذلك يقول في نصٍ مُهم آخر : « من البتة أن مُحتوى اللغة المُجرد ذو
صلة وثيقة بالثقافة . فالهوى الحمر الدين لم يروا (الفرس) أو لم يسمعوا
عه ، كانوا مُصطربين إلى اختراع - أو اقتراض - كلمة لتسميته وإذا
أخذنا القصيدة بمعنى أن مُفردات لغة ما تعكس بدرجة معينة من الأمانة -
ثقافة الدين تحدم هذه اللغة أغراضهم : فإنه يصح من الصحيح تمامًا أن
تاريخ اللغة وتاريخ الثقافة يتحركان في خطوط متوالية »^(٤٥)

ويعتقد الباحث أن ساير قد حاول في هذا الكتاب أن يصل إلى التفرقة
بين أمرين في علاقة اللغة بالثقافة :

أولهما : علاقة البنية الشكلية للغة بالنمط الثقافي

وثانيهما : علاقة البنية الدلالية للغة بالنمط الثقافي

ومن ثم فهو في العبارات التي يرفض فيها محاولات الربط بين اللغة
والثقافة إنما يقصد المحاولات الخاصة بقضية العلاقة بين البنية الشكلية للغة
وطبيعة النمط الثقافي ، وذلك مثل المحاولات التي أشرنا إليها عند جيمس
بيرز

أما قضية انعكاس التطور الثقافي في المحتوى الدلالي للغة فذلك أمرٌ
بدهي ، كما يقول ساير

وعلى الرغم من احتمالية هذا الاستنتاج فإنه لا ينبغي وجود تغيير في وجهة نظر ماير حول السيطرة الطاغية التي تمارسها اللغة على تشكيل رؤية النمط الثقافي ، وعلى عملية التكيف المعرفي لأعضاء العائلية الاجتماعية ولعل ذلك يجعل من مسألة الجمع بين وورف وآخر لا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه وربما كانت الحقيقة هي أن وورف - تلميذ ماير - يفتي وخنة الممثل الحقيقي لنظرية السئية اللغوية في المكر الدلالي الحديث في أقوى صورة لها

الفصل الثاني

وورف : ذروة الفرضية

لقد سادت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقدين الأول والثاني من القرن العشرين نظرة عنصرية عربية تنسب إلى ثقافة المجتمعات الأقل عموماً وتقلّماً صناعات البدائية والتوحّش والهمجية . . إلى آخر هذه المنظومة التي سادت في كتابات أنثروبولوجيي « التطورية الاجتماعية »^(١) .

ثم لاقت هذه النظرة نقداً شديداً على أساس أنها تعتمد « تحيزاً عنصرياً باقتراضها أن المجتمع الأوربي يمثل قبة التقدم . »^(٢) ومن ثم بدأت تشيع في مجال الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا « أفكار موضوعية تنظر إلى الثقافات الإنسانية بوصفها كيانات مستقلة من حيث المشأ والتطور والملامح الرئيسية التي تميّزها عن غيرها . »^(٣)

ولقد أطلق الباحثون على هذه الأفكار مصطلح « النسبية الثقافية »^(٤) ، وهو مصطلح مستمد من نظرية « النسبية العلمية » التي وضع أسسها أينشتاين عام ١٩٠٥ ، وهي النظرية التي برهنت على أن الرّمس ليس مطلقاً ، وأن قياس المسافات يتأثر بالرّمس الخاص لكل مشاهد

وفي هذا السياق - إذن - يمكن أن نفهم - بشكل أفضل - رفض

وورف^(٥) لمفهوم ليفي برون Levy Brul عن «الامتزاج الصوفي» الذي يرى أنه سمة عامة لعقلية إنسان المجتمعات البدائية، وكذلك معهم رفضه لفكرة التماثل بين «البدائية» و«العقلانية» عند فرويد ويونج^(٦).

ولقد كان النظر إلى الخصائص النوعية للغات ما سُمي بالشعوب البدائية نقطة انطلاق وورف التي بنى عليها هذا الرُّفُض يقول وورف، «إن كثيراً من لغات الهنود الحمر، واللغات الأفريقية، ترحر بالتسميات الطريفة، والتعبيرات المنطقية الجميلة حول السببية والحادث والنتيجة وخاصية الطاقة الحركية وماشرة التجربة إلى آخر كل هذه الأمور التي تُنسب إلى وطبيعة التفكير، أو بالأحرى إلى جوهر التفكير العقلي إن هذه اللغات تعوق - في هذا المجال - اللغات الأوروبية»^(٧)

والحقيقة أن ما يُشير إليه وورف هنا، وما أشار إليه همبولت من قبل، أمر قائم يُذكره كل من يقترب من تنوع طرائق اللغات في التعبير عن أفكار أصحابها. ولقد أقاض الأثنروبولوجي الفرنسي الشهير ليفي شتراوس في كتابه «المكر البري» في إعطاء أمثلة عديدة لذلك من لغات الهنود الحمر، ولغات القبائل الأفريقية، ولغات القبائل الأسترالية وهي أمثلة تكشف عن تدقيقات طريفة، وتصنيفات تكاد تصل كما يقول شتراوس - «إلى مصاف التصنيفات العلمية»^(٨)

وإذا كان لا أن يأخذ من اللغة العربية مثلاً لهذه التعبيرات البالغة الدقة والحدة، فإننا يمكن أن نشير إلى هذا النص الذي يورده السيوطي (ت ٩١١ هـ) حول تعبير العربية عن علاقة «اليد» بالأشياء التي تلامسها، أو تتأثر

بمادتها وفي هذا النص يروي السيوطي ما يلي^(٩) . « يقال - يده من اللحم
عَمِرة وَبَدَلَة ، ومن اللَّبَن وَحَمِرة ، ومن السَّمَك والحديد أَيْصًا سَهْكَة ، ومن
البَيْض ولحم الطَّيْرِ رَهْمَة ، ومن العسل لَيْثَمَة ، ومن الجُنس نَسَمَة ، ومن
الوَدَك^(١٠) وَدِكَة ، ومن النِّقْس^(١١) طَرِسَة ، ومن الدُّهْن والسَّعْن نَمِسة ،
ومن الخَل خَمِطة ، ومن الماء لَيْثَة ، ومن الخَصَاب رَدِعة ، ومن الطَّيْرِ رَدِعة ،
ومن العَجِي لَوِثة ، ومن الدَّقِيق نَبْرة ، ومن الرُّطْب والتَّمر حَمَة ، ومن
الرَّيْت وَصَنَة ، ومن السَّوِيق^(١٢) وَالْبِرر^(١٣) رَعْمَة ، ومن النَّجَاسَة نَجِسة ،
ومن الْأَشْأَان^(١٤) حَرِصَة ، ومن الثَّقَل زَهْرَة ، ومن القَار حَلِكة ، ومن
العَرَصَاد^(١٥) قَنَّة ، ومن الرُّطَاب مَصْعَة ، ومن البَطِيح نَصِيحَة ، ومن
الذَّهَب وَالْعَصَة قَتْمَة ، ومن الْكَامِخ^(١٦) شَهْرَة ، ومن الْكَافُور سَطِعة ، ومن
الدَّم مَنَحِطة ، ومن التُّرَاب قَرِة ، ومن الرَّمَاد رَمِدة ، ومن الصُّحَاء^(١٧)
صَحِبة ، ومن الْخَمِط^(١٨) مَسْمَة ، ومن الْخَبِز خَبْرَة ، ومن الْمَسْك ذَفِرة ، ومن
عَبْرَة من الطَّب عَطِرة ، ومن الشَّرَاب خَمْرَة ، ومن الرُّوَاتِح الطَّيِّبَة أَرْجَة ،
وَأَعْتَقِد أَنَا لَوْ حَاوَلْنَا تَرْجِمَهُ هَذِهِ الْمُفْرَدَات (٣٩ مَرْدَة) إِلَى لَعَة أُخْرَى فَرِمَا
وَجَدْنَا فِي ذَلِكَ عَنَّا كَثِيرًا

وإذا كان ذلك مجرد مثال بسيط فإن نظرة في كتاب مثل كتاب الثعالب
« فقه اللغة وسر العرب » تكاد تطلعا على صور أخرى من التجسيديات
المُعْجَمِيَّة المتعَايِرَة بتعَايِر مستويات الظواهر التي يقع عليها الإدراك ، وكانا
أمام لغة تحاول أن يكون وجودها الدلالي صورة مُوازِيَة لكل جُزْئِيَّات
المُتْرَكَات وتماصيلها

وعلى أية حال فإن ما يرد قوله ها هو أن غَمَل وورف قام على أساس له

ما يبرره على صعيد الاختلافات القائمة بين اللغات ، وكذلك على صعيد مثل هذه التَّدَقِيقَات والتَّصْنِيفَات التي ترحر بها اللغات الأخرى (غير اللغات الأوربية) التي أُطلق عليها تلك التَّسْمِية العُنْصُريَّة المُصَلَّلَة « اللغات البُنْدايَّة »

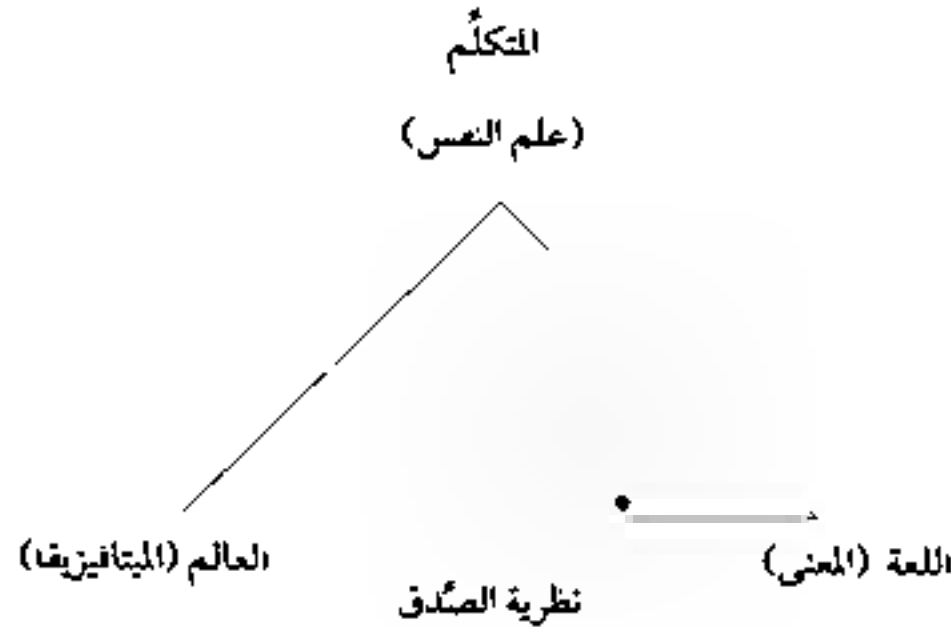
غير أن الأمر الذي يقع فيه الاختلاف بين وورف وغيره إنما هو في النَّاتِج النَّظَرِيَّة التي استخلصها من هذه الوقائع الملموسة في التَّوَعَّات اللُّغَوِيَّة وسيأتي بيان ذلك في موضعه من هذا البحث . أما هنا فإنَّ الباحث يُحاوِل أن يقدِّم صورة لكيفية تجسُّد هذا الإطار العام عبر الخطوط النَّظَرِيَّة والتَّساوُلَات النَّطِيقِيَّة التي قلَّمها وورف

ولعل أول ما يلاحظه الباحث عندما يعرض لمكْر وورف اللُّغَوِي هو وصوح علاقة وورف بعلم النَّفس . وذلك ما يكشف عن اهتمامه بالعمليات اللُّغَوِيَّة ، وبطبيعة التَّفْكِير ، وبالعلاقة عِلْم اللغة بعِلْم النَّفس يقول وورف « إن الباحث في الثَّقَافَة يسمي عليه أن يؤمن بأن غاية علم اللغة هي أن يكون طريقة تفسيريَّة لمشكِلات عِلْم النَّفس ، وهي تلك المُشكِلات التي لم يرل هذا الباحث حتى الآن يتردد في التَّصَنُّد لها ، في حين أن ذلك هو المجْهَر الذي ستظهر من خلاله إذا ما رُكِّز بشكل صحيح الأشكال الحقيقِيَّة لكثير من تلك القُوَى التي ما رالت حتى الآن تمثُل بالنَّسبة لهذا الباحث - فراعًا عامِصًا من العنْكَر غير المتجسِّد وغير المرئي » (١٩)

ومن الواضح أن وورف هنا - يجعل علم اللغة فراعًا يَنْصَوِي تحت علم النَّفس (٢٠) ، أو على الأقل - علمًا خادِمًا في سبيل حل مُشكِلات علم

النفس ، وذلك وُصُولاً إلى تقديم إسهام حقيقي في تفسير مُشكلات ثقافية ،
ومن ثم فإن وورف يركّز على الجانب الدلالي من اللغة فيقول : « عِلْمُ اللُّغة
إنما هو - في الأساس - قصية المعنى »^(٢١) ويجعل مهمة هذا العلم هي :
« إضاءة ظلام اللُّغة الكثيف ، ومن ثم إضاءة كثير من حَوَاطب العِكر ،
والثقافة ، والرؤية العامة للحياة عند مجتمع مُعَيَّن »^(٢٢) ولا يتم ذلك في
رأي وورف إلا « بوساطة صوء هذا (الشيء الذهبي) ألا وهو ذلك
العُنصر المُتحوّل - المعنى »^(٢٣) ولعل هذا الاهتمام بقصية المعنى هو الذي
قد وورف إلى التنبّه للاختلافات الواضحة بين اللغات في تجسيدها للرّمزي
لمسحي علاقة الإنسان بالعالم

وإذا أخذنا بمثلث بلاكيورن Blackburn^(٢٤) حول جوانب فلسفة اللغة -



فإننا نجد أن وورف من خلال انطلاقه من قصية المعنى - قد حاول أن يُسهِم
في الكشف عن طبيعة العلاقة بين الرّؤوس الثلاثة - التكلم - اللغة -

العالم - وسجد أن النتيجة النهائية التي خلص إليها تلتخص في أن اللغة هي التي تشكّل نظرية المعرفة ، وهي التي تشكّل « الميتافيزيقا » أو لنقل - بعبارة أخرى - إنها هي التي تشكّل « رؤية العالم » ، ومن هنا فإنه يُطلق - أحياناً - على فرضية النسبية اللغوية تسمية « فرضية اللغة ورؤية العالم » language Weltanschauung hypothesis^(٢٥)

يطلق وورف - إذن - من القول بأن اللغة تؤثر على الطريقة التي يهتم بها الإنسان العالم ، ويتصرف من خلالها - في اتصاله بهذا العالم^(٢٦)

وفي سبيل تدعيم هذه الفكرة الأساسية يقدم وورف مفهوم « الظواهر الخلفية » background phenomena ، ويطلقه على الظواهر اللغوية وهذا المفهوم يعني أن تلك الظواهر اللغوية تقف وراء الفعاليات الإدراكية والتصورية والسلوكية الإنسانية ، وتتحكم فيها ، وتشكّلها ، وذلك على الرغم من عدم الوعي المباشر من قِبل أصحاب اللغة بهذا التحكم يقول وورف في هذا السياق : « إن الظواهر اللغوية ظواهر خلفية ؛ وذلك لأن المتكلمين بها لا يعونها ، أو - في أفضل الأحوال - يعونها وعياً باهتاً جداً يُشبه وعيهم بذرات التراب في هواء العرقة . مع أن هذه الظواهر اللغوية تتحكم في المتكلمين بأكثر مما تتحكم الجاذبية في ذرات التراب »^(٢٧)

وعلى الرغم من أن بواس قد تحدث - من قبل - عن عدم الوعي بالعمليات اللغوية^(٢٨) إلا أن الاختلاف بين بواس و وورف يكمن في النتيجة التي يستخلصها هذا الأخير من ذلك يقول وورف : « إن هذه الأنماط اللغوية التلقائية الحثرية ليست مُماثلة بالنسبة لجميع البشر ، بل هي أمر خاصٌ بالنسبة لكل لغة ومن هذه الحقيقة يشق ما أسميته بـ « النسبية

اللغوية» التي تعني . أن مُستخدِمي أنظمة نحوية واصحة الاختلاف تقودهم هذه الأنظمة نحو أنماط مُختلفة من الملاحظة وتقويم الأحداث الخارجية المُماثلة ؛ ومن ثم فإنهم لا يتساوون في الملاحظة ، بل لا بد أن يصلوا إلى رؤى للعالم مُختلفة بدرجة ما .^(٢٩)

وهكذا يبدأ وورف في محاولة تحطيم الأساس الفلسفي الذي قامت عليه النظرية الأرسطية في اللغة . فاهم ما تطوي عليه العبارات السابقة أن القول بوحدة الفكر الإنساني ، أو القول بتمائل التجربة العقلية الإنسانية كما كان يقول أرسطو - قولٌ غيرٌ دقيق ، بل إنه - بالنسبة لوورف - قولٌ غير صحيح ، وذلك لأن هذه التجربة المُهنية تتشكل وفق السق اللغوي المُعين الذي يستعمل في مُجتمع لغوي معين . ويُطلق بعض الدارسين على هذا الحجاب من نظرية وورف اللغوية مدأ « الحتمية اللغوية » linguistic determinism ، وهو المدأ الذي تلخصه عبارة « اللغة تحدّد التفكير » ، وذلك إلى جانب مدأ « السنية اللغوية » الذي تلخصه عبارة « كل لغة نجسّد رؤية كونيّة متميزة »^(٣٠) ولقد كان همّ وورف الأساسي هو إثبات صديق المدأ الأول ؛ (د عليه يترتب بالضرورة - صديق المدأ الثاني ولكن الممارسة التي أثارت كثيراً من نقد نظرية وورف هي أن محاولة إثبات هذا المدأ الأول كانت تتم من خلال أمثلة ونماذج من التوهمات اللغوية ؛ أي من خلال المدأ الثاني !

وعلى كلٍ فإنما نقف هنا عند مجموعة المعاصر النظرية التي قامت عليها فرضية وورف ، وذلك ما يمكن إيجاره على النحو التالي :

١ - « إن طبيعة اللغة هي العامل الحاسم الذي يحدّد - بطريقة مستبعدة

قَوَاتِ التَّطَوُّرِ ؛ وذلك لأن اللغة نظام ، وليست مجموعة من القواعد ؛ (٣١)

وأوضح ما يلاحظ - هنا - أن وورف يصع يدّ على حقيقة جَوْهَرِيَّةٍ في طبيعة اللغة الإنسانية ، وتُمَثِّلُ هذه الحقيقة في أن اللغة « نظام » وهذه الحقيقة كانت من أهم ما أكّده مهجيةُ عِلْمِ اللغة البنيوي ، مدّ أن أرسى أسسها فردينان دو سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) ومع ذلك فلا بد أن يكون على حَذَرٍ من المطابقة بين مقولة « اللغة النظام » عند وورف وعند السيويين ؛ « دو سوسير » يرى أن اللغة « كثر مودع عن طريق ممارسة اللَّفْظ [parole =] لدى جماعة من الأشخاص المنتمين إلى مجموعة واحدة ، وهو نظام نحوي يوجد - بالقوة - في كلِّ دماغ ، أو - على نحو أدق - في أدمغة مجموعة من الأفراد » (٣٢) ومن الواضح أن دو سوسير يعدّ اللغة سَقّاً دِهْنِيّاً يحترقه أعضاء المجتمع اللُّعوي الواحد في أدمعتهم في صورة نظام نحوي

أما وورف فإنه يرى - أيضاً - أن اللغة سَقٌّ دِهْنِيٌّ ، ولكن ليس ثمة سَقٌّ آخر إلى جوار هذا السَقِّ يمكن أن يُطْلَقَ عليه « سَقٌّ العُكْر » ، أو سَقٌّ المدلول *signifié* وفقَّ مُصْطَلَحِ دو سوسير . وذلك يعود - عند وورف - إلى سبب جَوْهَرِيٍّ ، وهو أن سَقَّ الأفكار ما هو إلا سَقُّ اللغة ؛ ومن ثم فإننا نجد عند دو سوسير أن « اللغة نظامٌ من الدلائل يعبرُ عما للإنسان من أفكار » (٣٣) في حين نجد أن اللغة - عند وورف - هي صَانِعَةُ الأفكار ؛ إذ إنه ليس ثمة وجود قلبي للأفكار

ولتوصيح ذلك بصورة أفضل سوقُ عبارة وورف التي يقول فيها : « إذ خَلَقَتِ النَّظْمُ اللُّعوي (أو النَّحْو) لأي لغة من اللُّغاب ليست مجرد أداة

إنتاجية لإظهار الأفكار ، بل إنها هي ذاتها المشكّلة لهذه الأفكار إنها البرنامج والدّكيل لنشاط الفرد الذهني ، ولتحليل انطباعاته ، وتركيب محروبه الذهني ، (٣٤)

ومن هنا فإن اختلاف اللّغات عند وورف - لا يعني مجرد اختلاف شكلي في بنية النظام النّحوي ، وإنما يعني اختلاف « أنظمة ذهنية » ؛ ولذلك يقول وورف . « إن تشكيل الأفكار ليس عملية مُستَقِلَّة ؛ أي أنه ليس عملية عقلية rational بالمعنى القديم للعملية العقلية - بل هو جزء من « نحو » معين وهو يختلف - بدرجة صنيعة أو كبيرة - باختلاف النّظم النّحويّة . » (٣٥)

وهكذا نلاحظ أن تأكيد وورف على أن تشكيل اللغة للسّق الذهني يقوده إلى تأكيد اختلاف الأساق النّغية باختلاف اللّغات ولقد لاحظ بول ريكور P Ricour أن إرماء دو سوسير للمفهوم القائل بأن اللغة نسقٌ سيميولوجي يعني أن « اللغة لم تُعدّ تُعالج بوصفها « شكلاً للحياة » ، بل بوصفها نسقاً مُكتَمِباً بداته ، وبِعلاقاته الداخلية » (٣٦) ومن الواضح أن وورف يرى أن اللغة هي « شكل الحياة » ، وهذا ما سيتضح من خلال العنصر التالي من عناصر نظرية وورف

٢ « إن اللغة قبل كل شيء - هي تصنيف وترتيب لتيار التّجربة العملية التي يَتَجَهّا نظام مجتمّع معيّن » (٣٧)

وما يريد وورف أن يقول إن الإنسان عندما يستخدم اللغة فيسمّي الأشياء ، أو يصف الأحداث والعلاقات ، أو يعبر عن الحالات إلخ ،

فهو إنما يقوم بعملية تصنيف وتنظيم لتجربته في الحياة فاللغة هي التي نصّف ، وهي التي تُنظّم وترتّب الخبرة العملية لمجتمع معين وكان وورف هما - يضع اللغة موضع « العلم » ، أو « النظرية » أو « الإيديولوجيا » فاللغة - في سياق تفكيره هي « علم المجتمع » و « نظريته » و « إيديولوجيته » التي يمارسها - بشكل لا شعوري - كلما مارس فعاليته الاجتماعية

وعلى سبيل المثال ، فإذا عندما سُمّي « القطة » بهذا الاسم فإننا نمارس لا شعورياً - عملية تصنيف تجعل هذا الشيء المدرك مُتميّزاً عما عداه من الأشياء ، وفي الوقت نفسه نجعله داخلياً في فئة من فئات الموجودات فهذه الوسيلة اللغوية البسيطة « وسيلة التسمية » تطوي - على الرغم من بساطتها على فعل معرفي مُعقّد

فإذا انتقلنا إلى أشكال أخرى من الوسائل اللغوية اتضح لـ إلى أي مدى تقدّم لنا اللغة وسائل « معرفة العالم » وفي هذا السياق يأتي قول وورف « نحن نحلّل الطبيعة وفق الخطوط التي وصفتها لغاتنا الأصلية والعنات والأنماط التي مررها من بين عالم الظواهر لا نجد ما مطروحة هناك بادية الوصوح لكل ملاحظ بل العكس هو الصحيح ؛ فالعالم يتبدى من خلال تناثر شديد التعرُّر من الانطباعات التي نضطرّ عقولنا إلى تنظيمها وهذا يعني إلى حدّ كبير - أن تنظيمها يقع على عاتق الأساق اللغوية التي هي أدهاب » (٣٨)

٣ « إن الناس يؤدّون المواقف بطريقة تُشبه الطريقة التي يتكلّمون بها عن هذه المواقف » (٣٩)

وهنا يلتفت وورف إلى تلك الفكرة التي أقام عليها جيمس بيرن كتابه «المادى العامة لتركيب اللغة» ١٨٨٥ ، وهو الذي أشرنا - من قبل - إلى أن وورف عدّه من الجهود التي سبقته في الكشف عن العلاقة بين اللغة والسلوك . ومن الواضح أن مثل هذه الجهود ترمي في مُحصلاتها الأخيرة إلى الربط بين اللغة وما أسماء بيرن بـ «نمط الدّهية» ، أو ما أسماء ساير بـ «المِراج القومي»

وأهم ما تنطوي عليه هذه الفكرة أن وورف ينظر إلى الثقافة المعينة على أنها «كُلُّ مُتجانس» ، ومن ثم فإن العادات اللغوية التي يُمارسها أصحاب تلك الثقافة ما هي إلا منظومة عامة وشاملة تحكم وتشكّل وتُمثّل هذا الكل المُتجانس . وبالتالي فإن هناك صورة حقيقية للأداء الثقافي تنهض في الأداء اللغوي . وإذا ما أردنا أن نستخلص رؤية هذا النمط الثقافي أو ذاك فليس ثمة وسيلة بديلة . في رأي وورف - إلا ملاحظة نسق العادات اللغوية التي يمارسها أصحاب هذا النمط

« إن مفاهيم معينة مثل «الرأس» و «المادة» لا يمكن أن تعطىها التجربة بشكل متماثل في الجوهر - لكل البشر ، بل إنها تعتمد على طبيعة اللغة أو اللغات التي تتطور هذه المفاهيم من خلالها »^(١١)

وهنا يشير وورف إلى ما يمكن تسميته بـ «سنة المفاهيم» مما يفهمه العربي - مثلاً - من فكرة «الرأس» هو ما تقلّعه له العربية من مُفردات ، وطرائق تركيبية ، ودلالات ثقافية حول هذا المفهوم . وإذا أردنا التمثيل بذلك ببعض الأمثلة القليلة فإننا نجد أن العربية في نظامها الصّرفي المعنوي تقدّم

وفي اللغة الإنجليزية لا نجد - من الوجهة الصرفية - إلا ذلك التعبير بين الماضي والحال : ومن ثم يقول فرانك بالمر : « إن ثمة معنى حقيقياً - إذن للقول بأن الإنجليزية ليس فيها صيغة للمستقبل »^(١٤) أما الرئيسية فإنه يوجد فيها كما يقول فنديس : « سَلَم من الأزمان المتنوعة التي لا تعبر فقط عن أقسام الزمن الثلاثة من ماضٍ وحاضر ومستقبل ، بل تعبر أيضاً عن العروق السببية للزمن . »^(١٥)

وهكذا تتفاوت اللغات في تجسيدها لعكرة الزمن وهذا التفاوت يطوي - كما يستنتج منه وورف - على تفاوت في التصورات التي تطرحها الأنماط الثقافية المختلفة حول الكون والحياة

• وإن أي استعمال علمي لمصطلحات مثل المسند إليه subject والمسند predicate يؤدي إلى توقع اختلاف معانيها عند تعريفها بالنسبة لكل لغة معينة . بل إن هناك احتمالاً بانعدام معانيها بالنسبة لبعض اللغات ،^(١٦)

والحقيقة أن هذه القضية التي يشيرها وورف يُواجهها كل من يتصدى لترجمة المصطلحات الخاصة بـ « نحو » لغة معينة إلى لغة أخرى وفي سبيل التمثيل لذلك نُشير إلى بعض المصطلحات الخاصة بالنحو العربي ، حيث نجد أن ترجمتها إلى لغة أوربية كالإنجليزية - قد مثلت أمراً عسيراً بالنسبة للقائمين بهذه الترجمة وقد تبدى ذلك في إيراد المترجم لأكثر من صيغة في ترجمة المصطلح الواحد ، أو في إيراد عبارات شارحة ، أو في اللجوء إلى استعارة مصطلحات لاتينية ، أو في كتابة المصطلح كتابة صوتية

ومن ذلك مثلاً - مُصطلح « المفعول المطلق » حيث يترجمه المستشرق

رايت Wright بثلاث صيغ^(٤٧) هي :

objective complement,

absolute object,

cognate accusative

أما المستشرق هاوول Howell فيترجم المصطلح نفسه^(٤٨) بـ unrestricted

ويترجم رايت مُصطلح « ماضي »^(٤٩) بـ undeclinable

أما هاوول فيترجمه^(٥٠) بـ : uninflected

ويترجم رايت مُصطلح « الفعل المضارع »^(٥١) بـ imperfect

وهي ترجمة لا تنظر إلى الدلالة المعنوية للمصطلح ، وهي دلالة مقصودة في المصطلح العربي ، حيث إنه يشير إلى مشابهة هذا الفعل للاسم في قبول لتعريف الإعرابي

وهي حين يستخدم رايت المصطلح اللاتيني^(٥٢) nomen verbi لترجمة مُصطلح « المصدر » ، وإن المستشرق الهولندي كيس فريستيج يترجم المصطلح نفسه تارة بصيغة^(٥٣) infinitive وتارة أخرى بحده يستخدم الكتابة الصوتية^(٥٤) أما هاوول فقد استخدم الصيغة infinitive noun لترجمة المصطلح نفسه^(٥٥)

ولا شك أن كل هذه الاجتهادات المختلفة في ترجمة المصطلح تؤكد جوهر فكرة وورث في « نسبية المصطلحات » وستظل هذه نقطة يؤكدونها الدارسون يقول أوجين بيدا عن مصطلحات اللغة الشارحة meta language ، « إن ثمة ثقافات لا تشمل عقل هذه المسائل »^(٥٦)

وعلى أية حال فإن وورف لا يفتأ خلال ذلك كله - بعدم الأمثلة
والنماذج اللغوية التي يعصدها هذه المبادئ النظرية - ولقد كانت التوقعات
اللغوية التي تمثلت - بحاصة - في لغات الهنود الحمر مجالاً خصتاً أمام
وورف لاختبار فرضيته : ومن ثم نجد في معالجاته عددًا من المقارنات بين
الأنماط اللغوية ، والمفاهيم المجردة ، والدلالات الثقافية المتناحية للأنظمة
اللغوية المختلفة .

* فالإنسان الهوبي Hopi الذي لا يعرف إلا اللغة الهوبية ، والأفكار
الثقافية الخاصة بمجتمعه لا يفكر في « الزمان » time على أنه ديمومة سيالة
متدفقة ، يتتابع فيها كل شيء في العالم بمعدل متساوٍ ، بدءًا من المستقبل ،
وخلال الحاضر ، وصوب الماضي . في اللغة الهوبية كما يقول وورف -
ليس ثمة كلمات ، أو أشكال نحوية ، أو تركيبات ، أو تعبيرات - تشير
مباشرة إلى ما سمي به « الزمن » ، أو « الماضي » ، أو « الحاضر » ، أو
« المستقبل » إن ما يجده في تلك اللغة هو ذلك التقابل بين ما يمكن تسميته .
« الموضوعي » وما يمكن تسميته « الذاتي » .

الموضوعي . هو كل ما يمكن للحواس أن تصل إليه وأن تدركه دون أية
محاولة للتمييز بين الحاضر والماضي ، ومع استبعاد كل ما سمي به بالمستقبل

أما الذاتي فإنه يمثل كل ما تسميه بالمستقبل ، ولكن ليس بالصيغ فهو
يشمل - بدرجة متساوية ، وبطريقة غير مميزة - كل ما سمي به « النهائي »
mental أي كل ما يظهر للعقل أو يوجد فيه ، أو - كما يعصّل الهوبي أن يقول -
كل ما يظهر أو يوجد في القلب ، ليس قلب الإنسان فقط ، بل - أيضاً -

قلب الحيوان والنات الأشياء وهذا الداتي يتجلى في صورة مُقَمَّعة بالحركة ، وهو لا يتقدّم صوبها من المستقبل ؛ لأنه معاً بالمعمل في صورة بهئية حية (٥٧)

ولعلّ هذا التمييز الذي يُشير إليه وورف يتّضح من خلال المثال التالي تعبر الهوية عن كلمات مثل « رَكَص » و « رَاكَص » ، و « رَكَص » بكلمة واحدة هي Wari ، وتعني (هاك ركص ، أو - يوجد رَكَص) أما إذا كان ذلك الحدث متوقّفاً فيها تعبر عن ذلك بكلمة warinki ، وتعني (أعتقد : ركص يوجد) ، فالكلمة تشمل « إنه سوف ، وربما ، ويمكن أن يوجد رَكَص » وإذا كان المقصود تقرير قانون عام فيها تستخدم كلمة wankngwe (تعديداً ، الركص موجود) (٥٨)

* وهي الإنجليزية تقسّم معظم الكلمات إلى فئتين لكلّ منهما خصائص نحوية ومُطَبِّقة مختلفة وهاتان الفئتان هما - الأسماء والأفعال ومعنى ذلك كما يقول وورف - أن اللغة الإنجليزية تُعطيا تقسيماً ثانياً للطبيعة ولكن الطبيعة ذاتها ليست مُتَقَسِّمة هذا التقسيم الثاني ؛ ومن ثم فالأمر مرده إلى التّصميمات النّحوية لهذه اللغة وفي هذا السّياق يُشير وورف إلى أن المقابلة بين اللّغات تُعطيا وجهات نظر أخرى فمثلاً في لغة الموتكا Nootka لغة جزيرة فانكوفر - تبدو لنا كلّ الكلمات أفعالاً ، الأمر الذي يعني نظرة أحادية إلى الطبيعة (٥٩)

* وفي اللغة الهوية هاك اسم واحد تنصوي تحته جميع الأشياء أو الكائنات التي تطير ما عدا الطيور ، حيث يطلق عليها اسم آخر ! وهذا الاسم

العام الأول يُطلق على « الحشرة » ، و « الطائرة » ، و « الطائر » ، ولا يتحدد المقصود في كل استعمال لهذا الاسم إلا من خلال الموقف اللغوي وإذا بدا ل - كما يقول وورف - أن هذا الاسم فصفاً بدرجة كبيرة ، فإن الاسم الإنجليزي snow (الثلج) يبدو كذلك فصفاً بالنسبة لإنسان الإسكيمو الذي يُطلق على كل نوع من أنواع الثلج لفظاً مُستقل^(٦٠) .

* وفي اللغات النموذجية الأوربية يطبق الجمع والأعداد الأصلية في أمرين . في الجموع الحقيقية ، وفي الجموع المتخيلة فنحن نقول في الإنجليزية - (ten men عشرة رجال) ، ونقول ten days (عشرة أيام) . وإذا كان من الممكن إدراك « عشرة رجال » كأدراكاً مثلاً وجود عشرة رجال في ناحية من الشوارع فإن « عشرة أيام » لا يمكن إدراكها بالخبرة الموضوعية ؛ وذلك لأننا لا نجر إلا يوماً واحداً هو اليوم الذي نحن فيه ، أما الأيام التسعة الأخرى فإنها تستحضر من الذاكرة أو التخيل إذن فالنظر إلى « عشرة أيام » باعتبارها « مجموعة » لا بد أنه مُعتمد على تركيب ذهني تخيلي.

أما في اللغة الهوية فالموقف مختلف ؛ وذلك لأن الجموع والأعداد الأصلية لا تستخدم إلا بالنسبة للهويات التي تُشكّل أو يمكن أن تُشكّل - مجموعة موضوعية ؛ أي أنه ليس ثمة جموع متخيلة وبدلاً من ذلك فإن الهوية تستخدم الأعداد الترتيبية مع المفرد فتعبير مثل ten days لا يستخدم ، وإنما يُستخدم تعبير مثل the tenth day (اليوم العاشر) ويستتج وورف من ذلك أن الهويي يرى في تتابع الأيام نوعاً من تتابع هوية واحدة بعبها^(٦١)

وعلى أية حال فإني أكتفي بهذه المادح الأربعة ولقد حرصت على إيرادها ؛ لأنها ستشكل - كما سرى فيما بعد - مادة للنقاش والجدل مع فرصة وورف

ولعل الأمر الواضح من خلال العرض النظري ، والأمثلة التطبيقية التي قنمها وورف أن العاية النهائية التي يرمي إليها هي أن القول بوجود عموميات لغوية linguistic universals إذ هو رغم لا مَسْوَع له ،^(٦٢) ولقد واجهت هذه الفكرة في سياق فرصة وورف كثيراً من الجدال والنقد وهذا ما أرجو أن يتضح من خلال الحديث عن تطور الفرصة في الفكر الدلالي الحديث

الفصل الثالث

تطور الفرضية

ثمة مقولتان أساسيتان قامت عليهما فرضية وورف .

أولاهما . أن الاختلافات اللغوية تكشف عن اختلافات ثقافية في رؤية الحياة والكون

وثانيتهما أن اللغة تلعب الدور الحاسم في تشكيل الفكر ، بل إنها هي الفكر ذاته

وحينما نحاول أن نتتبع تطور الفرضية بعد وورف فإننا نسجد أن كل نقد ، أو تعديل ، أو إضافة ، إنما تركر في مدى الاقتراب أو الابتعاد من قبول هاتين المقولتين

فعلى حين تمثل آراء هاري هويجر ، ومادلين ماثيوس مثلاً - استمرراً يكاد يكون مكتملاً لمروص وورف وتطبيقاته - فإننا نجد أن صياغة الفرضية - في تطورات أخرى قد وصلت إلى التخفيف من حدة معالاة وورف في إقرار مقولته ومن هنا فإن النظرية انقسمت إلى صيغتين الصيغة المتطرفة ، extreme للصيغة المعتدلة mild⁽¹⁾ وفيما يلي محاولة لمعالجة هاتين الصيغتين من خلال توريعهما إلى الجاهين عريصين .

الأول . وسأطلق عليه الاتجاه الاستمراري

الثاني . وسأطلق عليه الاتجاه التحويري

أولا الاتجاه الاستمراري

ذكرتُ منذ قليل أنا أستطيع أن نجد في جهود كل من هاري هويجر ،
ومادلين ماثيوت استمرارا مكتملا لعروض وورف ومنطلقاته

فهي دراسة لهويجر - وهو أحد تلاميذ إدوارد ساير ، توفي سنة ١٩٧٦ -
حول تقسيم الأفعال في اللغة النافاهية Navaho ^(٢) براء يحاول أن يبين
اختلاف هذا التقسيم عن التقسيمات المعروفة في اللغويات العربية ، وذلك
على أساس أن هذا التقسيم يتركز - بدرجة كبيرة جداً - حول الإخبار عن
الأحداث events ، أو بالأحرى : حول الإخبار عن الماعليات eventings .
وهذه الماعليات تنقسم إلى .

أفعال محايدة . وهي الأحداث المرتبطة بحالات الوجود عن طريق
استحداث الحركة

وأفعال إيجابية وهي أحداث الحركة ^(٣)

وإذا كان من الواضح أن « الحركة » هي المحور الذي يقوم عليه هذا
التقسيم - فإن هويجر يحاول أن يتسع درجة تحديد الأفعال النافاهية في
الإخبار عن « الحركة » وهو في هذا السياق - يصل إلى أن تحديدات
التعبير عن الحركة تتحلل المفاهيم النافاهية لدرجة أن كثيراً من الأفعال التي لا
يبدو - للوهلة الأولى - أنها تعبر عن الحركة تظهر مع تحليل أكثر تفصيلاً -

معبرة عن الحركة ^(١)

وينتقل هويجر - بعد ذلك - إلى بحث علاقة هذه السمة اللغوية بالسّمات الثقافية للمجتمع النافاهي ، حيث يقول : « وفي الأعلى فإن هناك موازيات لهذه العبرة الدلالية في كل جانب من جوانب الثقافة النافاهية إذا ما أخذت بصورة شمولية . فالإنسان النافاهي حتى اليوم هو - في الأساس - إنسان جوال ، زغوي ، يسوق قطعانه من مرعى إلى آخر وتكشف الأساطير والطقوس هذه السمة بشكل واضح : حيث يتحرك الآلهة والأبطال بلا هوادة من مكان مقدس إلى آخر وهم في هذه الحركة يتطلعون إلى استكمال وتحديد - التدفق الحركي (الديناميكي) الذي هو الكون » ^(٥)

ويحتتم هويجر مقالته بهذه العبارات المهمة التي تتضح فيها المقولات النظرية التي يصدر عنها : « إني أرى أن هذه الظاهرة التي تدل على العلاقة الوظيفية المتبادلة بين عادات الكلام والتفكير المنظمة اجتماعيًا والعادات الاجتماعية المنظمة الأخرى لها أهمية قصوى بالنسبة لمدارس اللغة الذي يريد شيئاً أكثر من مجرد وصف بيئات اللغة : وذلك أن التحليلات التقابلية لعادات الكلام تنتج - بطريقة لا يمكن مقارنتها بأي وسيلة أخرى - فهمًا أكثر لعدد من جوانب السلوك الإنساني الكامنة تحت الوعي غير أن الأمر الأكثر أهمية من ذلك هو أننا عن طريق هذا الربط بين اللغة والثقافة غير اللغوية نستطيع أن نصل إلى فهم كيفية تغير البيئات اللغوية وفهم أسباب هذا التغير كذلك نستطيع أن نصل إلى فهم العلاقات الأخرى التي لا تزال غير واضحة بين السلوك العقلي الصريح والأساق الرمزية الكثيرة ، التي يشهدها الشر ستارًا شفافًا يسهم وبين العالم الموضوعي الذي يعيشون فيه » ^(٦)

ومن الواضح أننا لا نزال - بصيغة عامة - في فلك وورف و« هويجر » يرى أن مجرد وصف بيئات اللغة ليس أمراً كافياً بالنسبة لدارس اللغة ؛ وذلك لأن هناك جوانب كاملة تحب الوعي الإنساني تتأثر بالتمط اللعوي المستخدم في بيئة اجتماعية معينة وتؤثر فيه بل إن هذه البيئات اللعوية التي يُراد وصفها لا يمكن الوصول إلى تفسير بعض مُشكلاتها كمشكلة التعبير اللعوي مثلاً - دون التعلُّل إلى آليات الوعي الإنساني الذي يتعامل من خلال شبكة من الأسواق الرمزية التي تُعتبر اللغة أهمها وأكثرها تعقيداً وتأثيراً

وإذا عرّف أن دراسة هويجر هذه تعود إلى سنة ١٩٥١ ، فإن من حقنا الاعتقاد بأنها تمثل جانباً من جوانب إسهام فرضية النسبية اللعوية في قضية الربط بين اللغة والوعي الإنساني من ناحية ، وإبراز جوانب القصور في المنهج الوصفي الشكلي الذي ساد خلال ما يُسمّى بـ « الفترة اللومفيلدية » من ناحية أخرى وهاتان النقطتان سنكونا نقطتين أساسيتين فيما سمي بـ « الثورة تشومسكية »^(٧) في عِلْم اللغة الحديث ، وذلك على الرغم من أنهما اتحدتا لدى تشومسكي مسارات منهجية مختلفة من خلال نظريته إلى مماثل القوى المعرفية والإدراكية الإنسانية ، وبالتالي دهنه إلى وجود نحو كلّي^(٨)

غير أن مما يلفت النظر أيضاً في عبارات هويجر أنه يدخل فكره « لعلاقة الوظيفية المتبادلة » بين اللغة والثقافة وهذا يعد بدرجة ما عن الجانب الخنمي في نظريه وورف ، وهو القول بالسيطرة الطاغية التي تشكل بها اللغة المحتوى المعرفي والثقافي لدى أصحاب كل لغة معينة

ولعل ذلك ما يكشف عنه قول هويجر - بعد أن ساق عبارات ساير و وورف التي تمثل طرحهما لفرضية النسبية اللغوية - وإذا صحّت هذه الآراء فإن ما يبدو واضحاً هو أن اللّغة تدعب دوراً كبيراً ومهماً في المجموع الكلّي للثقافة فبعداً عن مجرد كونها - بساطة - وسيلة اتّصال ، فإنها هي نفسها طريقة في توجيه إدراك المتكلّمين بها ، وهي التي تتّكّم بالطرق التي يأنعوبها في تحصيل خبرتهم إلى مقولات دالّة ، ويقدر ما تختلف اللّغات فيما بينها اختلافاً مدحوظاً فإن نتوقع وجود عوائق هائلة ودات معرّى في الاتّصال والفهم بين الثقافات (٩)

وهو بعد - بالإضافة إلى هذه الصّبيعة الحيرة التي يستهل بها هويجر تفقيهِ على آراء ساير و وورف - أنه يسب إلى اللّغة دوراً كبيراً ومهماً في الإطار الثقافي ، وربما كان في ذلك درجة من تحميف القول بالدور الحاسم والطّاعي الذي ذهب إليه وورف

وإذا انتقد إلى معالجة مادّتين ماثيوت لفرضية النسبية اللغوية فإن مجدها تبدأ في دراسة لها بعنوان « أقسام الاسم والتصنيف الشعبي في لغة الباجو » (١٠) يقولها « إن عرض هذا البحث ليس اختصاراً لفرضية وورف ، أي البحث عما إذا كان ثمة علاقات قرابة يمكن تشعّها بين اللّغة والثقافة فبعض هذه العلاقات أصبح أمراً مسلّماً به الآن ولكن ما أريده ها هو فخص كفية تتبّع هذه العلاقات ، ومدى الوثاقه التي يمكن معها القيام بذلك على أساس من الدّراسة الموجهة (إلى مجال محدّد) بدلاً من المعالجة المجالية الشاملة » (١١)

وانطلاقاً من هذا التسليم بصحة الفرضية ؛ أو على الأقل - صحتها في إثبات بعض علاقات القرابة بين اللغة والثقافة ؛ فإن ماثيوت تحاول أن تقدم إجراءً منهجياً معيماً لكيفية بحث هذه العلاقات ويكمن هذا الإجراء المنهجي في اختيار مجال محدد من مجالات اللغة ، أو من مجالات الثقافة ، ومن ثم تبيان المنطوق الداخلي الذي يحكم العلاقة بين المجالين وسنرى - بعد قليل - أن هذا الاختيار سيتم فحصه وتصيغه ليس وفقاً لتصورات الباحث نفسه ، أو وفقاً للمفاهيم التي تحكم تفكيره من خلال الإطار الثقافي الذي ينتمي إليه ، بل وفقاً لمعايير التصنيف الشعبي الذي تنتجه وتسهه الثقافة التي هي موضع البحث

ومن ثم تختار ماثيوت مادة بحثها متعلقة في « أسماء الكمية » quantifiable nouns في لغة الياباجو ، حيث تنقسم هذه الأسماء إلى عدد من الأنواع مثل :

أسماء كتلة mass nouns

وأسماء جمعية aggregate nouns

وأسماء مفردة individual nouns

إلخ^(١٢)

ونصل ماثيوت إلى أن تصنيف أسماء لكتلة في لغة الياباجو مرتبط بمفهوم إدراكي ، وليس بمفهوم تصويري ؛ وذلك لأن هذه الأسماء تدل على متصلات continua متجانسة لا تنطوي على حدود فاصنة ومن أمثلة هذه الأسماء

الماء	العجين	السكر المسحوق	الريح
القهوة	الدُّهن - الشَّحم	الملح	المطر
الخمر	اللوييا المطبوخة	الرَّماد	الثَّلج
مَرَق اللحم	عصيدة القمح	التراب	اللَّحم
الدَّواء	القطر	الرَّمْل	الخُبِر
الدقيق	السَّحاب	التُّربة	المادة

ولعل معنى ما تطلق عليه ماثيوت - ها - مُصْطَلَح « المعيار الإدراكي » في مقابل « المعيار التَّصوُّري » هو أن هذه الأسماء تدل على أشياء تبدو عندما يقع عليها الإدراك كُتلة مُتجانسة وهذا الإدراك لا يميِّز بين طبيعة التجانس في « الماء » مثلاً ، وطبيعته في « الرمل » فتجانس « الرمل » ناتج عن التَّماثُل التام بين حَبَّاته أو ذَرَّاته المكوِّنة له وهذه الذرات يمكن تغيير الواحدة منها ، إلا أن الإدراك يلقي هذا التمييز الفردي ؛ لأن التَّماثُل التام لا يقدم ضرورة بصورية تجعل وجود لعظ مُستقل لكل ذرَّة على حدة ضرورة تُعوِّية أما تجانس « الماء » فهو أمر واضح بالنسبة لعملية الإدراك ، حيث نحتمي الذرات لمكوِّنة ، ولا يبدو إلا هذا التجانس المطلق وبعداً من خلال ذلك معهم تلك لاستعارة الشَّهيرة : بحر الرَّمال

ثم تشير ماثيوت إلى أن القِسْمين الآخرين الأسماء الجمعية والأسماء المفردة في لغة الساباجو - يشتملان على أشياء كثيرة جداً وغير مُتجانسة كما تشير إلى أنهما يتميزان عن قسم « أسماء الكتلة » بكونيهما « يدلان على

أحسام محدّدة الشّكل الخارجي « والسؤال الذي تطرحه ماثيوت ها هو ما مدأ التقسيم الذي تعتمد عليه لغة الباجو في التّريق بين الاسم المفرد والاسم الجمعي ؟ أو - بعبارة أخرى - لماذا يُسمّى هذا الشيء باسم مفرد ، ولماذا يُسمّى هذا باسم جمعي ؟ وتتضح أهمية هذا السؤال عندما يكون هذان الشّئان ينتميان إلى طسعة مُتشابهة مثل

عزال طبي

سمان نقار الخشب

فما الذي يجعل « عزال » و « سمان » يدخلان في فئة الأسماء المفردة ، و « طبي » و « نقار الخشب » يدخلان في فئة الأسماء الجمعيّة ؟ وتستخلص ماثيوت أن التّمييز بين الأسماء المفردة والأسماء الجمعيّة - في لغة الباجو أكثر خصّة منه بين أسماء الكتلة وغيرها من الأسماء - ومن ثم تشير إلى أن الاتجاه من اللغة إلى الثقافة لم يعط أية نتائج في إظهار علّة تقسيم الأسماء بهذه الطريقة في لغة الباجو

وتحاول الباحثة الأخذ بالاتجاه المهجّي الثاني ، وهو الاتجاه من الثقافة إلى اللغة وكانت المشكلة الأساسية في الأخذ بهذا الاتجاه هي ذلك التعدّد الهائل في إمكانات التّسميات الثقافيّة ، وبالتالي صعوبة الاختيار فيما بينها فمثلاً في مقولة « الحيوان » يمكن أن تأتي التّسميات لتاليه

الحيوانات المتوحّشة في مُقابل الحيوانات الأليفة

الحيوانات التي تعيش في جماعات في مُقابل الحيوانات التي تعيش

مُفردة

الحيوانات التي تلعب دوراً في حياة البشر وفي الأساطير والحكايات في مقابل الحيوانات غير المؤنسة

الحيوانات المستخدمة في الطعام والأعراس الطبية في مقابل الحيوانات غير المستخدمة في ذلك إلح

وتصل ماثيوت إلى أنه لم يتج عن هذه التقسيمات الثقافية ارتباط واضح بينها وبين التقسيمات اللغوية المتعلقة بالأسماء الجمعية والأسماء المفردة .

وأخيراً تلجأ ماثيوت إلى فكرة « التصنيف الشعبي » مستعينة بتعريف كونكلز له ، ومؤداه « التصنيف الشعبي folk taxonomy هو تصنيف الهويات enones في إطار الأوصاف التجميعية التي تعطيها لها الثقافة المعينة ، وليس الأوصاف التي يعطيها الحس الإنساني المشترك ، أو المعرفة العلمية للباحث »^(١٣) ومن الواضح أن مفهوم « التصنيف الشعبي » ، و وضعه في مقابل مفهوم « الحس المشترك » و « المعرفة العلمية للباحث » إنما هو تأكيد طاهر على خصوصية كل إطار ثقافي في نظراته ومعايره التي يقسم على أساسها الظواهر

ولقد توصلت ماثيوت من خلال الاستعانة بهذا المفهوم إلى أن هناك صلة بين الأسماء المفردة والكائنات الحية من ناحية ، وبين الأسماء الجمعية والكائنات غير الحية من ناحية أخرى . كذلك توصلت ماثيوت إلى أن المعايير الإدراكية (مثل - القدرة على الطيران ، الشكل الخارجي ، النمو إلح) وليس المعيير التصورية - هي التي لها الأهمية النظامية في تصنيف الموجودات في لغة الباياجو . وفي محصلة الربط بين اللغة والثقافة في مجتمع

الباباجو ترى ماثيوت أننا إزاء رؤية نهتم بالتقابل التدريجي ، وليس تقابل التصادم ، ومعنى ذلك أن سلوك إنسان الباباجو وإدراكه يسيران وفق معايير التدرج ، وليس وفق منطقتي القيم

ومن الواضح أن المحصلة النهائية التي يمكن استخلاصها من دراسة مادلين ماثيوت هي أنها تضع يدها على حقيقة تميز الإطار المعرفي للغة الباباجو وثقافتهم . وحيث إن مثل هذه المنهجية التي قامت عليها الدراسة إنما هي منهجية إمريكية (وذلك بانتمائها إلى « دراسة حالة » محددة هي « لغة الباباجو وثقافتهم » ، أو بتعبير أدق « حالة تقسيم الأسماء في هذه اللغة والدلالة الثقافية لهذا التقسيم » فإنها تعطي دعماً قوياً لفرضية النسبية اللغوية . وري كانت النتيجة التي وصلت إليها ماثيوت في دراسة أخرى لها بعنوان « المحالات الدلالية والمعرفية للغة »^(١٤) ، وهي النتيجة التي تمثلت في قولها « في رأيي أن كلا من المحتويين - الدلالي والمعرفي - خواص معينة من اللغة يرتبطان بخصوصية اللغة والثقافة ارتباطاً وثيقاً إلى الحد الذي لا يسمح بتوقع أي عموميه universality »^(١٥) - أقول - لعل هذه النتيجة تسير في الاتجاه نفسه الداعم لفرضية النسبية

ومن الشائق أن تشير هنا - إلى أن الدراسة التي قام بها المستشرق الألماني « ديتريش فيشر » حول « ألقاظ الألوان في الشعر العربي القديم »^(١٦) قد وصلت إلى نتيجة مشابهة لتلك التي وصلت إليها ماثيوت حول المنطق التدريجي في سلوك إنسان الباباجو وإدراكه . وسأعود في موضع لاحق من هذا البحث إلى نتيجة فيشر تلك

وعلى أية حال فإنه إذا كان هويجر ومانيوت يمثلان الاتجاه الاستمراري^٦ لمنطلقات وورف الأساسية ؛ فإننا نجد في المقابل جهوداً أخرى حاولت نقد هذه المنطلقات وإبطال أسسها ، وكذلك نجد جهوداً أخرى حاولت التعديل والتحويل ، وذلك ما أسميته بالاتجاه التحويري^٧

ثانياً الاتجاه التحويري

يشير جون كارول في دراسته التي قنم بها لمجموعة من كتابات وورف إلى أن من بين من وجهوا نقداً لنظرية وورف . إريك ليسبرج E. Lenneberg المتخصص في بيولوجية اللغة ، وفوير Four الفيلسوف الاجتماعي وإذا كان ليسبرج يستحق - في هذا السياق - وقفةً مُثابرة وأكثر تفصيلاً ، فإنني بالنسبة لقد فوير لا أملك - للأسف - تفصيلات كثيرة سوى هذه الإشارة المهمة التي يسوقها كارول ومؤداها أن فوير يؤمن بأنه « بدء على أسس قبلية a priori لا يتوقع المرء أن تكون لدى الثقافات التي تتحدث لغات مختلفة طرقاً مختلفة في إدراك المكان ، والرّماد والسّنية والعناصر الأساسية الأخرى في العالم الطبيعي ؛ وذلك لأن الإدراك الصحيح لهذه العناصر أمر ضروري للكائن الحي » (٧)

ولعل مُحصلة ما يذهب إليه فوير - ها - هي أن الإنسان - لكونه إنساناً - لا يمدك الانسكك عن الإدراك . وبما أن هناك عناصر أساسية تحكم عالم المشترك ؛ أي ذلك العالم الطبيعي بأعيانه ، وغلافاته ، فإن كل إدراك إنساني لهذه العناصر الفارقة في قلوبين العالم الطبيعي لن يختلف باختلاف الثقافات وبالتالي فإن القول بأن اللغة شكّل إدراك ثقافة مُثابرة يصبح

- عند فوير - قولاً مافصلاً لطبيعة الإدراك الإنساني العام الذي هو مسة في الإنسان بوصفه كائنًا حيًا

وكان فوير - هنا - ينطلق من نقطة ارتكاز أرسطية ، أو من نقطة مفولات الفيلسوف « كاسط » ولكن المعضلة التي يواجهها مثل هذا القول هي أن المسألة لا تكمن في وجود الإدراك بحد ذاته ، فالإدراك سمة ملازمة للكائن الحي - وإن تكمن المسألة التي ينطوي عليها طرح السببية اللعوية في أن إدراك العالم يختلف كميًا من نمط ثقافي إلى آخر ، وأن العادات اللعوية للنمط الثقافي تسهم إلى حد كبير في تشكيل هذا الاختلاف الكمي

وعلى سبيل المثال ، فإن أي مجتمع إنساني يُدرك ظاهرة « التوائم » ، ولكن إنسان قائل « الوير » في جوب السودان يُدرك تلك الظاهرة بكمية محصورة ، فهو يعبر عن « التوائم » بأنهم « طيور » وهو من خلال هذا التعبير اللعوي يكشف عن ثقافة لها رؤية كونية ، وفلسفة ميتافيزيقية خاصة « إن الويري حين يقول ذلك فإنه لا يعني أن التوائم والطيور مُتماثلان ، بل يريد أن يقرر أن التوائم يأتون من الله ، أو من الروح المرتبطة بالسما التي هي مملكة أو مجال الطيور » (١٨)

ولعل الاسدلال الأقوى الذي يمثل تحديًا حقيقيًا لمكره « ضرورة الإدراك الصحيح » التي يقول بها فوير بتأتى من مجال تطور التفسير العلمي لعلاقة الأرض بالشمس ، فقد كان التفسير القديم أو لقل الإدراك القديم يقوم على أساس نظرية بطليموس الملكية ، وهي أن الأرض هي مركز الكون ، وأن الكواكب الأخرى التي اعتبرت الشمس واجدةً معها تدور حول هذا

لمركز ، وأن القمر هو أقرب « كوكب » إلى الأرض إلح وكان هذا المنطق الكوني يحمل في طياته تصوّرًا مؤداه « مركزية » الإنسان ساكن الأرض - في الوجود الكوني وعندما جاء كوبرنيكوس تعبّر التفسير فأصبحت الشمس هي « المركز » الذي تدور حوله الكواكب الأخرى بما فيها الأرض ، وخرج « القمر » من مُسمى « الكواكب » إلخ ؛ ومن ثم فقد ظهر منطق مختلف ، حيث لم يعد « الإنسان » محورًا كونيًا^(١٩)

وربما كان لهذا المثال أن يصعب أمام حقيقة أساسية ؛ وهي أن إدراك الظواهر - وبالتالي المقولات اللغوية التي تعبّر عن هذا الإدراك - ليس عملية مُعقّفة وكاملة بشكل نهائي ، وإنما هي عملية مفتوحة ومتحدّدة ومتغيّرة ؛ ومن ثم فليس هناك ما يمكن أن نسميه بالإدراك الصحيح المطلق ؛ وذلك لأن أي إدراك إنما هو مسألة « سياق »

وعلى أية حال ، فإن نقد ليسرّج ربّما يمثّل أهمية خاصة فيما يتعلق بمفهوم قصة السّنية اللّغوية في ضوء المعطيات البيولوجية ، وبخاصة أن بعضاً من أفكار ليسرّج سجدها تعود الظهور لدى الباحثين ممن عرّضوا لهذه القضية التي نحن بصددّها

يرى ليسرّج أن الجنس البشري معطور^(٢٠) - بتكوينه البيولوجي - على تنظيم المعطيات الحسيّة sensory data ، وذلك من خلال عمليتين أساسيتين هما^(٢١)

* التمييز أو التفرّق discrimination or differentiation

* الرّبط أو التحويل interrelating or transformation .

وهاتان العمليتان تُسمَّيان لدى الإنسان بعملية « تكوين المفاهيم »^(٢٢)

ويرى ليسرج أن تلك الفاعلية اللُّغوية التي يطلق عليها « التسمية » naming إنما هي خاصية إنسانية تعبِّر عن تلك العملية العامة القائمة لدى الكائنات العُلَّيا ، وهي عملية تنظيم المُعطيات الحِسِّية الواردة من المحيط الطَّبيعي في فئات وأصناف ؛ ومن ثم فهذا المحيط الطَّبيعي يجد التعبير عنه في كل اللُّغات الإنسانية ، وذلك استجابة لهذا التنظيم المعرفي المعطى بيولوجيًا^(٢٣)

وعلى الرَّغم من أن ليسرج يُشير إلى أن التجارب قد أظهرت أن المفاهيم التي لها « أسماء » كانت أسهل في امتلاكها بالنسبة للأشخاص المختبرين من تلك التي ليس لها أسماء - فإنه لا يرى أن ذلك يدلُّ - بالضرورة - على أن اللغة عامل مؤثر في تكوين المفاهيم . وهو يؤكد ذلك بأن غياب التَّواري التام - عندما تقوم بعملية التَّرجمة بين ثَعتين - لا يدل على الخصوصية المطلقة لكل لغة ؛ وذلك لأننا نجد - كما يقول ليسرج - أن المحيط الطَّبيعي حول الإنسان يعبِّر عنه في كل اللُّغات ؛ ومن ثم فإن الأمر العالِب هو أن ما تختلف فيه اللغات هو رابطة الإشارة reference أو طريقتها ، أو تعبيراتها المجازية^(٢٤)

ويشير ليسرج - كذلك - إلى مسألة مهمَّة أخرى ، وهي أن الدِّراسات المقارَّنة للغة المستخسمة في التَّجربة تبيِّن أن الظواهر ذات البرور الإدراكي أو المعرفي في البيئة المحيطة خلال التَّجربة - دائماً ما تكون عُرضة للاستدلال عليها ، بصرف النظر عن نوع اللغة المستخدَمة^(٢٥)

تطور الفرضية ••

وربما تصرنا هذه المسألة ظاهرة البرور اللعوي الموارى للبرور الثقافي أو الإدراكي فعندما تكون ظاهرة معينة محل اهتمام في حياة مجتمع معين ؛ فإن الألفاظ التي تعبّر عن هذه الظاهرة تتجه نحو الكثرة والاستقصاء لكل جريئاتها ومن هنا - مثلاً - فإن اهتمام المجتمع العربي القديم بـ « الإبل » بسبب الدور الذي كانت تلعبه في حياة هذا المجتمع قد أدى إلى هذا « البرور اللعوي » فيما يتعلق بالمعجم الصحاح المعبر عن « الإبل » ، إلى درجة أن السّقر السّابع و كتاب الإبل من « المختص » لابن سيده الأندلسي (ت ٤٥٨ هـ) قد خصّص كله - عدا عشرين صفحة - لموضوع « الإبل » ، ومن ثم يجد أن هامر بورجشتال H Purgstall يُخصي ألفاظ هذا المجال الدلالي في العربية لتصل عنده إلى ما يقرب من ستة آلاف لفظة (٢٦)

ولكن يلاحظ أن ليبرج يستخلص من مثل هذه التجارب نتيجة مؤداها أن نوع اللغة ليس عاملاً مؤثراً في عمليتي التعرف والتسمية ، وأن العامل المؤثر هو الاستعداد البيولوجي الذي يركّز على الظواهر البررة في المحيط الطبيعي ومن الواضح أن هذا الاستنتاج إنما يستدل سياقاً بسياق آخر فعلى حين تمثل ظواهر البرور اللعوي الموارى لبرور ثقافي أو معرفي - في مجتمع معين تجربة فعلية ترتبط بنيويًا (٢٧) بعدد من الظواهر الأخرى في الممارسة الحياتية فإن سياق « التجربة المعنوية » إنما هو - في نهاية الأمر - سياق مُصنّغ ، ولا يمثل إلا اختباراً للقدرات الإنسانية الكامنة . ولا شك أن هناك فرقاً بين « الاستعداد الكامل » و « الممارسة الفعلية » واعتقد أن حديث السّية اللغوية إنما يأخذ نقطة انطلاقه من الممارسة الفعلية للغة والثقافة في مجتمع معين

وعلى الرغم من عدم الحتم الواضح في قول ليسرح بأن الأمر غير المؤكد هو ما إذا كانت النتائج المتحصلة من تجارب تكوين المفاهيم راجعة إلى عادات التسمية لدى الأشخاص المختبرين ، أو أن ذلك راجع إلى عامل أساسي أعمق هو التنظيم المعرفي المعطى بيولوجيًا أقول على الرغم من ذلك فإن من الواضح تمامًا أن ليسرح يرجح هذا العامل الثاني وهو في هذا السياق يقدم عددًا من الأدلة : وذلك مثل - نمو العمليات الحسابية ، والنمو الموسيقي ، ونمو الصور النصيرية وكل هذه العمليات تعتمد - في رأي ليسرح على قوى معرفية لا تتحكم فيها اللعبة ولعل الدليل الأقوى الذي سوفه ليسرح دعمًا لهذه الفكرة هو ما يستمد من حالات الأطفال المصابين بصمم خلقي ، ومن ثم فهم بالمقارنة بالأطفال الأسوياء - يعانون الإعاقة اللغوية فمن خلال عدد من التجارب يستخلص ليسرح أن العمليات المعرفية التي تمت دراستها تدور إلى حد كبير - مستقلة عن خواص أي لغة طبيعية ، وأن المعرفة يمكن أن تنمو إلى مدى معين حتى في غياب معرفة أي لغة (٢٨)

ويبدو لي أن ليسرح - هذا - لا يفرق بين أمرين

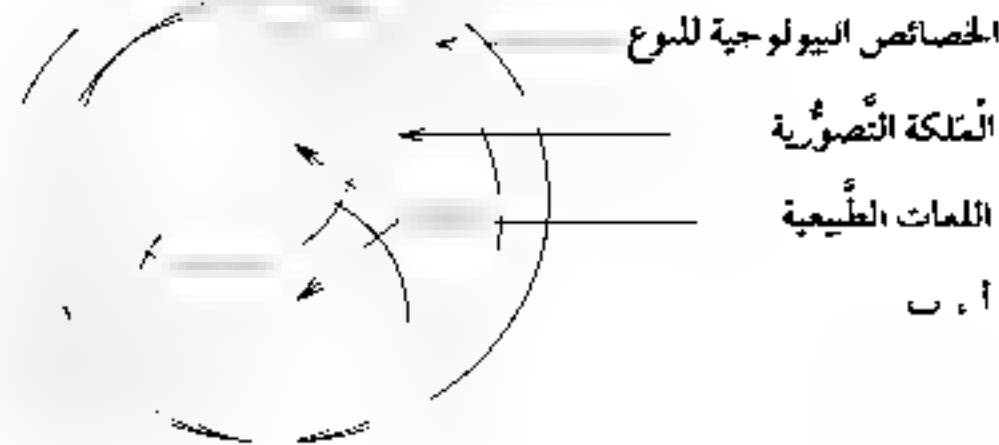
أ - المعرفة اللغوية بوصفها قوة معرفية فطرية يمتلكها الكائن الإنساني بتكوينه النوعي (البيولوجي)

ب - معرفة اللغة المعينة (العربية الإنجليزية . إلخ) بوصف كل واحدة منها مؤسسة ثقافية تُمارس من خلالها خبرة اجتماعية لها تأثيرها الدائري ولا شك أن العطرة اللغوية - أي الاستعداد البيولوجي للغة - مسألة عامة بين بني البشر جميعًا ولكن هذا الاستعداد الفطري لا يختص بالاستعداد

لمعرفة اللغة فقط ، وإنما هو استعداد عام لقدرات معرفية متنوعة ، منها تلك العمليات التي يشير إليها ليرج . ومع ذلك فإن هذه الاستعدادات المفترية لا يمكن أن تأخذ تجليها وانثاقها إلا من خلال سياق اجتماعي معين ومن هنا فإن الخبرة المعرفية تتشكل وفق أنماط الخبرة الاجتماعية المعينة . وهـا تلعب معرفة اللغة المعينة دورها في عملية التفاعل بين الخبرة المعرفية والخبرة الاجتماعية

ولعل عدم التمييز بين هذين الأمرين كان وراء قول ليرج : « إن من الواضح أن كل لغة لها خصائصها الذاتية ، وإن كان من الممكن القول بأن الألعاب ما هي إلا أنماط مختلفة تنتجها مبادئ أساسية واحدة »^(٢٩)

ومن ثم فهو يرسم العلاقة بين اللغات الطبيعية والقلّة الإنسانية على امتلاك المفاهيم في هذا الشكل التوضيحي^(٣٠)



ومن الواضح في كل ما سبق أن ليسبرج يسمي إلى تأكيد استقلال وجود الإدراك « و » القدرات المعرفية « عن وجود اللغة وهو بذلك يواجه الجانب الختامي من سببية وورف ؛ وهو الجانب القائم على أن اللغة هي المشكلة للإدراك ، ولرؤية العالم وفي هذا السياق ينفي ليسبرج أن تكون اللغة هي علّة « الذكاء » والاستدلال الذي يراه على ذلك « يكمن في حقيقة أن الأطفال يكتسبون اللغة في وقت تكون فيه قوة التفكير عندهم ما ترال فقيرة » (٣١)

بيد أننا عندما نستقل إلى الرأوية الأخرى من فرضية السببية ، وهي حقيقة اختلاف اللغات ودلالة ذلك على اختلاف الإدراك ، فإننا نجد ليسبرج يذهب إلى أن الاختلافات الكبيرة في تناول اللغوي لحادثة معينة لا يعي - بالضرورة - اختلافات مؤارية في إدراك هذه الحادثة ؛ إذ ربما كان ذلك مجرد نتيجة للاختلاف في طريقة الدلالة ، أو هي تطور طريقة الدلالة ، وهي أمور تتم غالباً دون أن يكون المتكلمون على وعي بها وفي هذا السياق يعطي ليسبرج تصوّرًا لا يكاد يختلف عن ذلك التصوّر الشهير الذي طرحه تشومسكي من خلال مقولتي « السببة السطحية » و « السببة العميقة »

يرى ليسبرج أن اللغات تختلف - فقط - في « الأشكال الخارجية » outer forms ، في حين يظل « النمط التحتي » underlying type ثابتاً (٣٢) وهو يدلّ على ذلك بأن كل طفل يمكنه اكتساب أي لغة بدرجة متساوية من السهولة (٣٣) أما هذه الاختلافات القائمة بين اللغات في قواعد التركيب وفي التايات الدلالية ، فإنها تعود إلى تلك الحرية الكبيرة التي يمتلكها الجهار المعرفي للإنسان ، والتي تسمح للفرد بأن يوجد - دائماً - استعمالاً جديدة

وخلافة لعاني الكلمات ، وأن يمتلك الإمكانيات المدبغة في تشكيل قواعد التركيب ، وأن يعيد تصنيف الكلمات في مقولات تركيبية مختلفة (٢٤)

وعندما نصل إلى هذا الحد من استدلالات ليسرج فإننا نجد أنفسنا أمام تحدٍ واضح للجانب الختامي من فرسية وورف ، وهو الجانب الذي يمثل في القول بأن اللغة تشكل الفكر والإدراك وعلى الرغم من إمكانية التسليم بهذه النتيجة - أي القول بأن اللغة ليست هي التي تشكل الفكر والإدراك - فإن المسألة التي تبقى معلقة هي تفسير الاختلافات اللغوية بأنها مجرد اختلافات في طرق الدلالة أو راوية الإدراك كما يقول ليسرج ، إذ من الواضح أن « تهميش » هذه الاختلافات اللغوية ، وتقليصها إلى الحد الذي لا تكون فيه سوى « بدائل » اختيارية لـ « معنى » أو « إدراك » متماثل في جوهره ، يترتب عليه - بالضرورة - إجهاد « فكرة » التمايزات الثقافية ، أو لنقل « الخصوصيات اللغوية » وإذا كانت المسألة مجرد اختلافات هامشية أو سطحية ، فقد كان من المتوقع ألا نجد هذه التمايزات الهائلة في الأطر الثقافية التي لها رؤاها الخاصة التي تمارس من خلالها الحياة ، وترى الوجود ، وتشكل اتجاهاتها الصريحة والصمنية

أما مسألة الحرية والرونة اللتين يتميز بهما الجهاار المعرفي للنوع الإنساني فإنها لا تكفي لأن ترتب عليها القول بأن الاختلافات اللغوية ليست إلا « مظاهر » لهذه الحرية ؛ وذلك لأن السؤال الذي ينهض هنا هو ، وما البعلة التي توجد الاستعلال المختلف لهذه الحرية من إطار ثقافي إلى آخر ؟ ولماذا لم نجد - عبر التاريخ - إطارين ثقافيين يتطابقان في استعلال هذه الحرية : في طريقة إدراك ظواهر الطبيعة ، وفي تفسير ماهية الحياة والكون ، وفي تصور

أنماط العلاقات الاجتماعية ؟

وإذا كانت حقائق الاختلافات اللغوية من الطواهر الملموسة التي يمكن التحقق منها بأساليب كثيرة ، فإنها إما أن تدل على أنماط معرفية مختلفة - وهذا ما يرفضه ليرج - وإما أن تدل على نمط معرفي واحد متماثل في جوهره . وفي هذه الحالة الأخيرة ، فإن الصورة التي يمكن رسمها لهذه الجوهر المتماثل ستكون على درجة بالغة من التجريد والتعميم والصورية إلى الحد الذي لا تمضي فيه إلا إلى هذه السمات البيولوجية العامة التي يمتلكها البشر جميعاً . ولعلنا نذكر في هذا السياق محاولة تشومسكي إقامة ما يسميه بـ « النحو العام » حيث لا يجد - في المحصلة - إلا نظاماً صورتياً مقاماً في أساسه على دراسة الإنجليزية باعتبارها « عينة غودجية » للغات الإنسانية التي تتماثل في الجوهر - في النية العميقة ولا تختلف إلا في بنائها السطحية . ولقد تعرضت هذه النظرية إلى نقد حاد من قبل الباحثين المهتمين بالأنماط اللغوية (٣٥)

وإذا كان من الصحيح أن كل البشر يمتلكون « جهازاً معرفياً » ، إلا أن وصف هذا الجهاز بأنه ينسجم بدرجة هائلة من الحرية والمرونة الإبداعية لا يعضي إلى أنه جهاز معرفي واحد ثابت متماثل إلخ ؛ وذلك لأن هذه « المرونة » أو « الحرية » ليست « جليلة » طارئة ، أو وظيفة « صافية » بقدر ما هي خصيصة جوهرية ؛ وبالتالي فإن ما تنتجه أجهزة معرفية متنوعة الحرية والمرونة لا بد أن يكون - أيضاً - متنوعاً

واعتقد أن تفسير الاختلافات اللغوية بأنه ناتج عن مجرد اختلافات في

طُرُق الدلالة لا يكفي لرفض فكرة اختلاف أنواع المعرفة الثقافية ؛ إذ السؤال الحقيقي هو . ما الأسس الثقافية العميقة التي توجه هذه الطُرُق الدلالية . ومن ثم نجعلها على هذا النحو أو ذاك ؟

وعلى سبيل المثال . إذا كانت العرب تقول : « روح المرأة أبوها »^(٣٦) فهل يكفي أن نقول إن هذا تعبير محاري قائم على تشبيه دور الروح بدور الأب ؟ أعتقد أن - في هذه الحالة - لا نكون على درجة من الفهم العميق لمقولة « الأب » في هذا الإطار الثقافي الذي يطل من هذا التركيب اللغوي والعربية تعرق بين مقولة « الأب » ومقولة « الوالد » ؛ حيث إنه « لا يُسمى الإنسان ولداً إلا إذا صار له ولد ، وليس هو مثل الأب ، لأنهم يقولون في التكنية : أبو فلان ، وإن لم يلد فلان »^(٣٧)

وإذا ما تعمقنا الاستعمالات الأخرى لكلمة « أب » - وشيوعها بصيغة خاصة في الكُنى مع كلمة « أم » - فإن سجد أن ذلك ينتمي وخصوصية أسدسيه في إطار ثقافته العربي الذي كان يظفر إلى أية ظاهرة نظرة « أساوية » ؛ أي نظره تبحث عن « أصل » الظاهرة ، وكمية ندرتها من هذا الأصل ، وهي نظرة توارى طريقة عمل العربية في بناء مُعْجَمها القائم - في جوهره - على الاشتقاق « أصول » و « فروع » كما أن مجد تجسّدات هذه الرؤية في العديد من مساحي هذا الإطار الثقافي . مما سنعود إليه في موضع لاحق من هذا البحث

يرى بيسرح أن « الإدراك » - في جوهره - فعالية إنسانية مُتَمَثِّلَةٌ ومع ذلك فإن إذا أخذنا ظاهرة إدراكية بسيطة تتمثل في وجود حجر في مجال

الرؤية ، و وجود كُرّة بيننا وبين هذا الحجر فمادّا نقول في هذه الحالة ؟ إننا - ببساطة - نقول ، إن الكرة أمام الحجر . ويبدو لنا هذا القول مُطابقاً لدرجة أب يصمي عليه تعميماً يجعله أمراً خارجاً عن داتية المدرك ولكن ما القول - إذن - حين نجد لغة ما مثل لغة « الهوسا » تقوم بتجسيد كيفية محاولة لتلك التي تُدرك بها هذا المشهد ، فتتصور أو يتصور أصحابها - الكرة واقعة خلف الحجر ^(٣٨) ؟

إسّا إذا حَكَمّا على هذا النموذج الإدراكي بأنه « شاد » أو « غريب » فإنما نحكم من زاوية « إدراكنا » نحن ، وبالتالي فمن حقّ صاحب هذه اللغة أن يرى أن تعبيرنا عن هذا المشهد « شاد » و « غريب »

ولعل مثالا آخر يمكن أن يضيء ما نحن بصددده : إدراك « الطول » يبدو ذا علاقة وثيقة بإدراك البُعد الرأسي للأشياء ، ومن هنا فإن الإنجليزية - مثلاً - لا تسمح بتركيب مثل

a tall cigarette

حيث إن السيجارة تُقاس من منظور المخور الأفقي ^(٣٩) فإذا جئنا إلى العربية فإننا نجد أن صيغة « طويل » لا تفرق بين ما يمكن قياسه أفقياً أو رأسياً و « استطال » امتد وارتفع ^(٤٠) ، وبالتالي يمكن أن يقال .

١ - هذه بحلة طويلة مُرتفعة

٢ - هذا طريق طويل ----- مُمتد

بل إن الاختلاف لا يتجسّد على هذا المستوى الإدراكي فحسب ، وإنما يتجسد أيضاً على المستوى المفهومي ، ففي حين أن مفهومًا مثل « الرمس »

يخصص في الإنجليزية - أيضاً بالصيغة long ، ومكوناتها الدلالي [رأسى] ^(٤١) ، فإنه في العربية يمكن أن يخصص بالصيغة « طويل » (مثلاً : مد رمن طويل) ، ولا يعني هذا أن مفهوم « الرأس » عند العربي ذو بُعد أفقي وإذا أضفنا إلى ذلك أن العربي تصح صيغة « الطول الرأسى » وفق مِقياس تدرُجي - طويل ← طَوَال ← طَوَّالَة إلخ ^(٤٢)

فإن المحتوى الإدراكي ها يبدو مختلفاً عن المحتوى الإدراكي الذي يجده في الإنجليزية

ولعل الباحثين في قضية « العموميات اللغوية » يقدمون لنا في هذا الإطار يد العون ، دون أن يكون ذلك هو ما يهدفون إلى تقريره فإن توحد - مثلاً - في اللغة النافاهية Navaho كلمات مختلفة تدل على « الأكل » باختلاف شكل المأكول ^(٤٣) ، فإن ذلك يكشف عن آلية إدراكية ، واستجابة لغوية ، لهما طابع مختلف عن أطر ثقافية أخرى تعطي صدارة الأهمية لنوع المأكول ، أو لنوع الأكل ، أو لمسة الأكل إلخ وإذا كان ليهر يرى أنه على الرغم من أهمية الاحتمالات والأعياد لدى معظم الثقافات ؛ فإن من الواضح أن اللغات لا تحتوي على فئات مستقلة من ألماط الطعام بناء على المناسبة ^(٤٤) - أقول : إذا كان ليهر يرى ذلك فإن ما يجده في العربية في هذا السياق - يدل على غير ذلك ولعل القائمة التالية التي بسوقها الثعالي تكشف عن ذلك ^(٤٥) .

طعام الصَّيْف - القرى

طعام الخَتَان العَنيرة

طعام الدَّعوة المأدبة

طعام المآتم الوصيمة

طعام الزائر - التحفة

طعام القادم من سفر : النقيعة

طعام الإملاك الشسخية

طعام الساء الوكيرة

طعام العرس - الوليمة

طعام الولادة - الخرس

و عند خلق شجر المولود - العقيقة

وأخيراً لنأخذ هذا المودح من لغة الأوجيبوا Ojibwa حيث تصف
« الأحجار » بحوي في نوع « الحي » ، وتتصور على أنها تمتلك قدرة كمة
على السلوك الحي وامتلاك خصائص الأحياء (مثلاً الحركة وفتح
العم) ^(٤٦) والسؤال هنا هل يمكن أن يعد مثل هذا الإدراك لظاهرة طبيعية
حاصلة مُجرّد اختلاف في « زاوية الإدراك » كما يقول ليرج . أم أننا أمام
تصور يقوم عليه نسق ثقافي بأكمله ؟

ولعلّ الأمر الذي يُمكن ترتيبه على ذلك هو أن الأخذ بتلك المقولة التي
يطرحها كانترل Cantril له ما يبرره بقول كسرل « إن العالم كما نعيشه
هو نتاج الإدراك وليس علة له » ^(٤٧) ومؤدّى هذا القول أن العالم يتشكّل
وفق إدراكات ، وفي إطار الطريقة التي نذكره بها . وإلا فإن كان العالم هو

علة إدراكنا لما يختلف هذا الإدراك من بيئة إلى أخرى ، أو من زمن إلى آخر ؛
ومن ثم فإن من الصحيح القول بأن « كل كائن حي يقطع من كمكة الواقع
الكبرى الجزء الذي يستطيع أن يُدركه ، والذي يمكنه أن يتعامل معه حسب
تنظيمه النفسي والطبيعي »^(٤٨)

وبدا كان يبرج قد قدم نقده لنظرية السُّبِيَّة اللُّغَوِيَّة من مُطلق مُعطيات
بيولوجية ؛ فإن ديميد كوبر يقدم نقده من مطلق معطيات فلسفية ، وبخاصة
مُعطيات فلسفة اللغة

يبدأ كوبر غرضه للنظرية بما سَمَّاه « وضع النظرية في شكل أكثر
ترتيباً »^(٢٩) ، وذلك - عنده - عن طريق تحديد أيّ جواب اللغة التي يُقصد
لربط بينها وبين جواب معيَّنه من الثقافة وفي هذا السياق يقدم كوبر تقسيمًا
ثلاثيًا لكل من اللغة والثقافة

واللغة كما يقول - يمكن النظر إليها في حدود : الصوت ، والتركيب ،
والمعنى والثقافة يمكن تقسيمها إلى الإدراك ، ومعايير الاتجاهات ،
وتكوين المفاهيم وبعد هذا التقسيم لتقريبه يعين كوبر إمكانية قيام تسع
علاقات تربط بين اللغة والثقافة ، وهي على النحو التالي

١ - الأصوات - الإدراك

٢ - لأصوات المعايير

٣ - الأصوات - المفاهيم

٤ - التركيب - الإدراك

٥- التركيب - المعايير

٦ التركيب - المفاهيم

٧- الدلالة - الإدراك

٨ الدلالة - المعايير

٩ الدلالة المفاهيم

ويستعد كوبر أنواع الارتباطات الثلاثة الأولى ، على أساس أن اللغة -
إذا أخذت من الناحية الصوتية فقط - لا يبدو ثمة احتمال لوجود تأثير لها
على طريقة إدراكنا أو تفكيرنا^(٥٠)

وعند هذه النقطة نودُّ أن نقف وقفه قصيرة فنفني كوبر للعلاقة بين
أصوات اللغة وكيفية إدراك أصحابها ، أو سق تكوينهم للمفاهيم ، أو معايير
ميلهم واتجاهاتهم ، أمر لا يسلم به بعضُ الباحثين ، وبخاصة هؤلاء
المهتمون بقضية الرَّمزية الصوتية sound symbolism القائمة على أن « بعض
الملامح الصوتية (= العونولوجية) ترتبط مباشرة ببعض المتغيرات الدلالية
والمعرفية cognitive »^(٥١)

ولعل أبرر من أشرت إليهم عند غرض جدور فرضية التسمية اللغوية -
وأعني به همولت - قد ألمح إلى شيء من ذلك عندما قال « إن اللغة تحتار
تسمية الأشياء بالأصوات التي تعطي للأذن - نارة بنفسها ، وتارة بالتقابل مع
أصوات أخرى - بطاعاً يماثل الشيء على الدهن ومن ثم فإن الطريقة
التي تنير بها الأشياء انطباعات متماثلة تدلُّ عليها كلمات ذات أصوات متماثلة
في جوهرها »^(٥٢) وكذلك يقول سبرس . « لس ثمة من يُكرِّر أنا نجد

كلمات شعر - بشكل عريري أنها أدق في التعبير عن أفكاره ، وأن كلمات أخرى بحس أن أصواتنا غير ملائمة لدلالاتها .^(٥٣)

ولا شك أن هذا الإحساس عَمَلِيَّة إدراكية تشتمل على عمل حاسة معينة كسماع صوت الشيء ، أو حركته ، أو رؤية هيئته وخصمه إلح ولعل ذلك ما رمى إليه السيوطي حين قال : « إن الواحد من جفاة العرب إذا وقع طرفة على وخش عجب ، أو طير عريب ، أطلق عليه اسماً يشتقه من خلقته ، أو من فعله ، و وضعه عليه »^(٥٤)

ومن الثابت أن لكل صوت خصائصه من جهة موقعه في جهاز النطق ، والجهد الحركي (العصلي والعصبي) المصاحب لنطقه ، وذلك بالإضافة إلى خصائصه الأكوستيكية ومن الثابت أيضاً أن المنح الشري لدى صاحب لغة معينة يمثل خثرة طويلة بهذه الخصائص^(٥٥) ومن ثم فإن من الممكن القول بأنه إذا أثار أي إبطاء حسي ، ناتج عن إدراك إحدى الحواس لشيء ما ، تطبعاً مماثلاً في خثرة المنح بخصائص الأصوات ، فإنه من المحتمل أن تكون الاستجابة اللغوية الحية لهذا المثير الحسي استجابة توفق بين تلك الخثرة الواردة من الخارج والخثرة اللغوية في أليات المنح .

ولعل ارتباط تكوينات صوتية معينة بالتعبير عن مفاهيم معينة في لغة ما ، من الطبيعي أن يجعل صاحب هذه اللغة يميل إلى استحصار هذه التكوينات عندما تعرض له ظواهر إدراكية تستدعي في ذاكرته اللغوية أخذ هذه المفاهيم

وعلى سبيل المثال فإن لغات مثل لغات السيامو Senoufo الأفريقية تُطلق

على الأشياء الكبيرة أسماء تختلف عن أسماء الأشياء الصغيرة^(٥٦) ويطبيعة الحال فإن هذا تمييز إدراكي يتمُّ التعبير عنه من خلال تكويدات صوتية. وبالتالي فإن إدراك صاحب هذه اللغة عندما يواجه ظاهرة «الحجم الكبير»، أو ظاهرة «الحجم الصغير»، أو عندما يواجه مفردات لم يسمعها من قبل وفيها مثل هذه التكويدات الصوتية فإنه يميل إلى نسبتها إلى هذا المفهوم أو ذلك. مفهوم «الحجم الكبير» أو مفهوم «الحجم الصغير»

وبالمثل فإن وجود «سابقة» affex تعني «مثل شكل العم» في لغة الـ «لو» Luo الأفريقية^(٥٧) أيضاً يجعل ورود هذا التكوين الصوتي موجهًا للإدراك لدى صاحب هذه اللغة في فهم دلالة أي مفردة فيها هذه السابقة

وإذا أضفنا إلى ذلك ما تلعبه ظاهرة التكرار الصوتي من دور دلالي في بعض اللغات ومنها العربية فإن قضية الرمزية الصوتية ترداد دعماً فمثلاً في لغة «الباجو» تشير المفردة gog إلى «كلب واحد»، وتشير كلمة gogogs إلى «جماعة الكلاب»، وتشير كلمة ku إلى «المرل»، أما كلمة knu فتشير إلى «المارل»^(٥٨) ومن الواضح أن تكرار الصوتيم الاستهلاكي لها يلعب دوراً دلاليًا يجعلنا نتصور أن ورود أي كلمة لم يسمعها «الباجي» من قبل وفيها هذه الظاهرة يمكن أن يوجه إدراكه إلى تفسيرها بأنها «جمع» لشيء ما

ولعل مما يلفت النظر أن هذه الظاهرة ظاهرة التكرار الصوتي تشيع في معظم المفردات التي تدل في العربية على تصرف موصوف في صفة ما ولتأمل هذه الأمثلة العلبية

* رجل يادن : محمود الصَّحْم ، ثم خَدَبَ : إذا رادت ضَحَامَتُهُ (٥٩)

* إذا أفرط طوله وبلغ النهاية . شَعْلُج ، وَعَطَطُ (٦٠)

* رجل صَمَخَمَح : شديد ألمَّة ، امرأة صَهْصَلَق شديدة الصَّوْت (٦١)

* يوم معمعاني . شديد الحر (٦٢)

* رجل سَمِين ، ثم لحيم ، ثم شَحِيم ، ثم يَنْدَح ، وَعَكَّوْكَ (٦٣)

* وامرأة سَمِيَّة ، ثم رَصْرَاصَة ثم غَرْكَرَكَة (٦٤) .

* رجل شُجَاع ثم غَشْمَشْم (٦٥)

* رجل جَبَان ثم هَوَهْدَة وَهَجْهَاج ثم رَغْدِيْدَة وَرَغْشِيْشَة

ثم هِرْدَبَة (٦٦)

على أن ثمة ملاحظة مهمة هنا ، وهي أن تلك الخصائص اللُّغَوِيَّة والعيرانية للصُّوْت اللُّغَوِي ليست خصائص ثابتة لا تتغير فالمسألة - دائماً مسألة سياق فالصوتيم /ب/ مثلاً في كلمات مثل بات ، بيضة ، بئر ، بوم ، بَطْ ، (بَطْ ، دُبْ) . إلخ . يتأثر - في كل مرة - بالسياق الصوتي الذي يرد فيه وأهمية هذه المسألة تكمن في أن الذين رفضوا فكرة الرَّمَرِيَّة الصوتية كانوا ينظرون - في جانب من جواب رفضهم - إلى وجود الصوت اللُّغَوِي الواحد في كلمات مختلفة وذات دلالات مختلفة قد تصل إلى درجة التافُص وربما كان في ذلك نوع من إعمال السياق الصوتي الذي يرد فيه هذا الصوت ، وهو السياق الذي تمارس فيه الأصوات تأثيرات مُبَادَلَة على خصائص بعضها البعض

وإذا قبلنا ذلك على مستوى اللُّغة المعيّنة فإن قبوله على مستوى اختلاف الأنظمة الصوتية للغات المختلفة أمر أكثر وضوحاً فمن المعلوم أنه ليس ثمة صوتيم عالمي^(٦٧) ، وبالتالي فإن اعتراض رافضي الرَّمْية الصوتية على أساس اختلاف اللُّغات في تسمية الشَّيء الواحد يعمل ما يمكن أن سميهِ «السُّنية الصوتية» ؛ أي يعقِل حقيقة أن أصوات كل لغة لا تكتسب قيمتها إلا داخل نَسق هذه اللغة

ومن خلال ذلك ربّما نفهم ربّط بعض الباحثين بين الوظيفة التعبيرية expressive للغة وظاهرة الرَّمْية الصوتية ، فيقولون إنه كلما شاعت هذه الظاهرة كانت هذه الوظيفة لها الصِّدْارة من بين وظائف اللُّغة الأخرى^(٦٨) كذلك يمكن أن نفهم ربّطهم لهذه الظاهرة بشيوع الرُّعة الإحيائية animism في ثقافة أصحاب هذه اللُّغة^(٦٩)

ومن ثم فإننا إذا أخذنا بأساس فَرْضية السُّنية اللُّغوية القائم على أن اختلاف اللُّغات يعي اختلافاً في الإدراك ، وكذلك إذا أخذنا بما يقوله بعض المشتغلين في قضية الرَّمْية الصوتية ممثّلين في باتريس قرش التي تقول : « إن مصدر الرَّمْية الصوتية يمكن أن يعدّ مسألة سيكلوجية دون أن يطوي ، بالضرورة ، على رمزية صوتية وراثية عالمية »^(٧٠) أقول : إذا أخذنا بذلك كلّ فإن قول كوبر بأنه ليس ثمة تأثير لأصوات اللُّغة على طريقة الإدراك يُصبح محلّ نظر

أما بالنسبة للعلاقات الأربع الأخيرة (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) فإن كوبر يشير إلى أنها هي التي حظيت بالجهد الأكبر وهو يرى أن وورف - مثلاً - كان مهتماً

بشكل رئيسي - بالعلاقة بين التركيب والمفاهيم ، والعلاقة بين الدلالة والمفاهيم من بين هذه العلاقات الأربع
وبطبيعة اهتمامات كوبر الفلسفية فإنه يشير إلى أن فرضية السئية اللعوية تنطوي على تصميمات فلسفية تتعلق بفلسفة العلم فهناك عدد من المشكلات المنهجية والتصورية التي تطرحها هذه الفرضية ، والتي يسعى مُعالجتها قبل أن يشق البحث « الإمبريقي » طريقه في اختبار الفرضية وتمحيص نتائجها ومن بين هذه المشكلات المنهجية يقف كوبر عند مشكلتين أساسيتين : أولاً مشكلة الترجمة ، والثانية مشكلة غياب المعايير غير اللعوية في الاستدلال على أن الاختلافات اللعوية تشير إلى اختلافات ثقافية

أما بالنسبة لمشكلة الترجمة فإن كوبر يشير إلى خطر الترجمة الحرفية ، وذلك « لأننا بالترجمة الحرفية نقرأ في فكر الشعوب الأخرى ما ليس فيه حقيقة »^(٧١) ومن الأمثلة التي يسوقها كوبر على ذلك كلمة breakfast التي تؤدي ترجمتها الحرفية إلى أنها تعني break+fast ، أي « كسر الصوم » ، في حين أن استخدامها لا يعدو الدلالة على « وجبة الإفطار » ويرى كوبر أن بعض الأنثروبولوجيين ومن بينهم وورف - قد وقعوا في مثل هذه لترجمات الحرفية المضللة

ولعل حقيقة الأمر فيما يتعلق بقضية الترجمة وعلاقتها بفرضية السئية اللعوية هي أن ثمة بُعدين يلزم تحديدهما بشكل واضح

البعد الأول : وهو أن اللغات لا تتوارى من الباقية المفجعة^(٧٢) فقد

يوجد في اللغة (أ) وحدات مُعْجَمِيَّة تعبر عن أشياء ومفاهيم معيَّنة ، ولا نجد في اللغة (ب) وحدات معْجَمِيَّة مُوَارِيَّة تعبر عن هذه الأشياء والمفاهيم ولعل الأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصى ولنأخذ منها المثال التالي في لغة الهوسا لا يوجد كلمة تعني ما تعنيه كلمة « صيق » ، وفي عدد كبير من اللغات الأفريقية ، ولغات الهنود الحمر ، واللغات الأوقيانوسية (أستراليا) لا توجد كلمة مستقلة تعني « ردي »^(٧٣) . وفي المقابل يلاحظ أنه توجد لغات أخرى تصع وحدات مُعْجَمِيَّة مستقلة تعرِّق بها بين أنواع « الصَّيْق » فهي العربية - وفقاً لما ذكره الثعالبي - هناك تقسيم للصَّيْق حيث يقال « مكان صيَّق » ، وصنذر خرج ، ومعيشة صنك ، وطريق لرب ، وجوف رقب ، وواد برل^(٧٤) وكذلك نجد تحت مقولة « الرديء » سعة ألماظ مستقلة باستقلال نوع الرديء^(٧٥)

أما البُعد الثاني فهو أن اللغات لا تتواري من ناحية لدلالة الثقافية فقد يوجد في اللغة (أ) وحدة مُعْجَمِيَّة تعبر عن مفهوم معيَّن (س) ، وكذلك يوجد في اللغة (ب) وحدة مُعْجَمِيَّة تعبر عن المفهوم (س) ، ولكن من منظور ثقافي مُختلف ومثال ذلك كلمة « الشمس » التي يوجد مُقابل لها في كل اللغات الإنسانية^(٧٦) ولكننا عندما نجد في العربية مثلاً مؤنثة ، وهي المَرْسِيَّة مذكَّرة^(٧٧) (le soleil) ، فإن ذلك راجع إلى تأثير الإطار الثقافي ، حيث ارتباط الشمس في الأساطير السامية القديمة بالأمومة ؛ ومن ثم عبادتها بوصفها « إلهة أمّا »

إن هذين البُعدين يؤكدان خاصية أساسية في اللغات الإنسانية ، وهي « أنها مُرتبطة بالثقافات التي تقدمها بوثام تعاقبي تبادلي مشترك التأثير ؛ بمعنى

أن ثقافة جماعة إسرائيلية ما تعدي لغتها بإعطائها بعد فترة من الوقت
مميزات تعكس من خلالها هذه الثقافة لكن لو سِرنا في اتجاه مُعاكس لرأينا
أن اللغات تحلق أساليب وصيغاً للتعبير تعدي صيغ المُكرّر والناجح في
الحالات المتطرفة يكون عفة عند التَرْجَمَة ، فليست اللغات - فقط - هي التي
ترجم ، ولكن العمليات الثقافية أيضاً ، (٧٨) ولنعل ذلك ما تركه
بوصوح دراسة يوجين نيدا لمشكلات عدم التواري بين اللغات ، مما كشف
عه العمل في تشعّج ترجمات « الكتاب المقدس » عبر لغات العالم (٧٩)

وعلى سبيل المثال : هل نستطيع أن نقول إن « الحس » - في العربية -
مجرد لفظ يمكن أن تؤدّيها في المُرْسِيَّة مثلاً - لفظ fee ، أم أن إدراك
مفهومين يبطوي كلُّ منهما على دلالة ثقافية مختلفة تجسّد ها وهناك جانباً
مختلفاً من رؤية الكون (٨٠) ؟ كذلك عندما يتحدث مسيحيو المجتمعات ذات
النظام الأبوي عن « الله » - تعالى - بأنه « أبوهم الذي في السماء » ، وعندما
يحدث مسيحيو المجتمعات ذات النظام الأمومي عن « أمهم التي في
السماء » (٨١) ، فهل نحن أمام مسألة من قبيل الخلاف اللّغوي ، أم أن الأمر
أعمق من ذلك حيث يصرّ إلى حدّ رؤية ثقافية مُتباينة ؟

فالمسألة - إذن - هي قضية التَرْجَمَة أعمق من قضية أخطاء التَرْجَمَة
الحرفيّة وإدراك ثمة ما يمكن أخذه على القائلين بالنسبية اللغوية من أنهم -
في بعض أمثلتهم - قد استخلصوا بعض النتائج اعتماداً على أمثلة من هذه
التَرْجَمَة الحرفية ؛ فإن ثمة أساساً حقيقياً لمشكلات التَرْجَمَة بين اللغات قد
لمسه كلُّ الذين عالجوا اللغة من منظور ثقافي مُقارب وفي ذلك السياق يقول
ستانلي يومان : « في التَرْجَمَة نصل إلى ذلك الإدراك غير السارّ بأن كل لغة

- بدلاً من تشكيل ذاتها طوعاً لإرادتنا - تتحكم في اتجاه تعبيرها وتقوده ؛
ومن ثم نذكر بوصوح شديد - أن اللغات تتطوي على مقاومة داخلية
فمواردها قد تشكلت في أساق من الأنماط التصورية والشكلية ؛ ومن ثم
يصطر داخل أنماط لغة أخرى غير لغتنا إلى إقامة فروق غير متجانسة ، وإلى
تجاهل فروق أخرى تبدو غير أساسية بالنسبة لنا . (٨٢)

ولعل فكرة « المقاومة الداخلية » التي يشير إليها بيومان تعني - على الأقل
أن هناك صعوبة حقيقية كثيراً ما تواجه عملية الترجمة بين اللغات التي
تنسب إلى أطر ثقافية مختلفة . ولعل كثافة هذه الصعوبة تدعو بوصوح
شديد - هي ترجمة الأعمال الأدبية . ولا شك أن لذلك مغزاه ، فالأعمال
الأدبية بطبيعتها - هي التي تحمل جوهر الروح الثقافي للأمة المنتجة
لها (٨٣)

أما المشكلة المنهجية الثانية التي يشير إليها كوبر فهي غياب المعايير غير
اللغوية في الاستدلال على أن الاختلافات اللغوية تشير إلى اختلافات
ثقافية . ومعنى ذلك هو أن المطلوب ألا تقع المرصية في « الاستدلال
الدوري » ، أي ألا يكون الاستدلال الوحيد على اختلافات « رؤى
العالم » هو « الاختلافات اللغوية » ، والاستدلال الوحيد على « الاختلافات
اللغوية » هو « اختلاف رؤى العالم »

وفي محاولة لحل هذه المشكلة المنهجية يقترح كوبر فكرتين يرى أنهما
تشكلان « محكاً » أو « مرجعاً » لتحديد اختلافات المفاهيم من ثقافة إلى
أخرى .

أولاهما أن المفهوم لا يختلف من مُجتمع إلى آخر إلا إذا كانت مجموعة التعبيرات المرتبطة به تنتمي - في كل مجتمع منهما - إلى دائرة من المجموعات التعبيرية المختلفة والأوسع

وثانيتهما - أن المفهوم يختلف من مجتمع إلى آخر إذا اختلفت امتداداته الاستعارية والتشبيهية (٨٤)

ويبدو لي أن ما يقلّبه كوبر - ها - بمثل وقوعاً في المحذور المهجي الذي أشار إليه من قبل ؛ وهو محذور عياب المعايير غير اللغوية - فمن الواضح أن هاتين الفكرتين تربطان تحديد اختلافات المفاهيم - من ثقافة إلى أخرى بالمعايير اللغوية - فهي الفكرة الأولى يختلف المفهوم من مُجتمع إلى آخر إذا كانت « الدائرة التعبيرية » التي يسمي إليها ما مختلفه عن الدائرة التعبيرية التي يسمي إليها هاك - وفي الفكرة الثانية يختلف المفهوم - من مُجتمع إلى آخر - باختلاف « السياقات الاستعارية » التي يستعمل فيها

والسؤال إذن - أليست « الدوائر التعبيرية » و « السياقات الاستعارية » معايير لغوية ؟

وعلى أية حال فإن الملاحظة العامة التي يمكن استخلاصها من نقد كوبر هي أنه على الرغم من تركيزه على المباحي المنهجية فإنه لم يقدم استدلالاً منهجياً بديلاً بشكل متسق .

وتواصل الدراسات والبحوث التي حاول من خلالها أصحابها أن يُعالجوا قرصية النسبية اللغوية من أجل تقويمها ، وتقديم صيغ مقترحة لحل الإشكاليات التي تطرحها - وسأحاول في سياق هذا الجزء الأخير من

البحث أن أقف عند نماذج من تلك المعالجة من خلال الإسهام الذي قدمه كل من . علم اللغة النفسي psycholinguistics وعلم اللغة الاجتماعي sociolinguistics

ولقد كان اهتمام العلم الأول - علم اللغة النفسي بقرضية السببية اللغوية نابعاً من كونها تثير مشكلة العلاقة بين المقطعات اللغوية من جانب ، والمقطعات غير اللغوية (مثل الإدراك ، والتفكير ، والتمثيل المعرفي إلخ) من جانب آخر وهذه العلاقة تمثل موضوعاً رئيسياً في علم اللغة النفسي منذ نشأته^(٨٥)

أما اهتمام علم اللغة الاجتماعي بقرضية السببية فقد اشتق من خلال ما تثيره من إشكالية العلاقة بين اللغة والمؤسسة الاجتماعية التي تستخدمها من خلال دور اللغة في انتقال التراث الثقافي ، وفي التنشئة الاجتماعية ، وفي الاتصال الاجتماعي إلخ

وبطبيعة الحال لن يكون من المستهدف هنا استقصاء كل إسهام قدم من منظور علم اللغة النفسي ، أو من منظور علم اللغة الاجتماعي ففصلاً عن أن ذلك ليس في الإمكان المتاح لكاتب هذه السطور ، فإنه ريثما يقود إلى أمور تقع خارج نطاق هذا البحث ؛ ومن ثم فيأتي ساكسي في معالجة علم اللغة النفسي - بالوقوف عند علمين فقط هما « هانز هورمان » و « دان سلوبس » وذلك على أساس أنهما يقدمان مجموعة من العاصر التخويرية في قرضية السببية ، كما أنهما معاً يعطيان عرصاً لجهود عدد كبير من المشتغلين بمسائل هذا العلم أما بالنسبة لعلم اللغة الاجتماعي فإن التركيز

سينصب - أساساً - على ذلك التطوير الذي أدخله بارل برشتين على مفهوم الفرضية

يتمثل تناول هورمان لفرضية السبية في محورين أساسيين الأول - يقوم بالتركيز على الجوانب السلبية ، والتحليل المنهجي الإجرائي في معالجات وورف بصيغة خاصة أما المحور الثاني . فهو محاولة للبناء على الجوانب الإيجابية التي تطرحها الفرضية أو تطوي عليها ، وذلك من خلال مقطعات التحقق التجريبي التي يقدمها علم اللغة النفسي

ولعل أول ما يأخذه هورمان على معالجات وورف أن بحثه في التوزيات القائمة بين الظواهر الثقافية والى اللغوية لا يُعطي أية إجابة عن الكيفية التي يتم من خلالها الارتباط بين هذين الحاسين ، كما أنه لا يمكنه التمسك بالموضح الذي يتوقع فيه مثل هذه التواريات (٨٦)

كما يشير هورمان إلى أن عدم إمكانية تقدير عدد أنواع العلاقات الممكنة بين المعطيات اللغوية والمعطيات غير اللغوية يؤدي إلى عدم إمكانية تحديد مدى الأهمية التي نعروها إلى حالة معينة قد نلت فيها الارتباط بين مُعطى لُغوي ومُعطى غير لُغوي (٨٧)

ولتوضيح ما يقوله هورمان هنا نُشير إلى أننا أمام نقطتين . الأولى مؤكداً أن إذا أثبتنا - مثلاً - وجود ارتباط بين المعجم اللغوي العربي الخاص بمجال « الإبل » وحقيقة النور الذي تلعه الإبل في ثقافة الإنسان العربي ، وبالتالي اهتمامه بكل شئونها ، وصماتها ، وأنواعها ، وأسبابها إلح أقول إذا أثبتنا هذا الارتباط فإن الذي يظل غير واضح هو الكيفية التي تم من خلالها

هذا الارتباط بين الظاهرة الثقافية والظاهرة اللغوية ومعنى ذلك أننا لا نكون من خلال تقرير الارتباط قد وصحننا المسار الذي نم به هل هو المعطى الثقافي الذي شكّل هذا المعجم ، أم أنها اللّغة - بآلياتها الداخلية المختزنة في ذهن الإنسان العربي - هي التي أتاحت له أن يتخّذ هذا الكمّ الصّحّم من المفردات الدالّة على كل ما يتعلق بالإبل ؟

وعلى الرغم من أن المسار الأول يبدو هو الصّحيح فإنّ ثمة بُعداً آخر يلزم اختصاره - فإذا تحيّلنا أن العربية - مثلاً - تشكل وحداتها المفجميّة على نحو تتكون فيه الوحدة من سعة مقاطع على الأقل ، فهل كان من الممكن للإنسان العربي أن يبدل كل هذا الجهد المبيولوجي ، وأن تتحمل ذاكرته الدلالية كل هذا العدد الصّحّم^(٨٨) من المفردات الدالّة على هذا المجال ، وهو - في نهاية الأمر - مجال واحد ؟

أم النقطة الثانية التي تصبّنها مأخذ هورمان فهي عدم إمكانية تقدير عدد أنواع العلاقات الممكنة بين المعطيات اللّغوية ، والمعطيات غير اللّغوية ، وبالتالي عدم إمكانية تحديد مدى الأهمية التي نعروها إلى حالة معينة فدلّت فيها الارتباط بين معطى لُغوي ومُعطى غير لُغوي وتتطوي هذه النقطة على أن فرضية وورف تعتقد المرجعيّة التي تمكّن من التحقق من مدى صدق أيّ علاقة يتمّ تقريرها بالنسبة للعلاقات الأخرى التي يمكن أن توحد بين المعطيات اللّغوية والمعطيات غير اللّغوية وفي المثال الذي ورد مد قليل مثال «الإبل» - يظلّ ثمة سؤال قائماً . هل هذا هو الشّكل الوحيد والأهم من العلاقات التي تقيمها العربية مع المعطيات الثقافية (أي الشّكل الذي يتم به توحيد آله وصح الأسماء التي غير الأشياء وتصنعها) ، أم أن ثمة أشكالاً أخرى

- قد تكون أكثر أهمية - تقيّمها العربية مع مُعطيات ثقافية أخرى (مثل آلية الأفعال التي تعبّر عن درجات الحدث والحركة والحالة والعلاقة إلخ) ؟

هذا بالنسبة للمأخذ الأول الذي يأخذه هورمان على معالجات وورف أما المأخذ الثاني فهو معلق بالطريقة الإجرائية التي اتبعها وورف في التّأليل على فرصته ^(٨٩) وقد لاحظنا - من قبل - أن هذه الطريقة الإجرائية قد لاقت عددًا من المؤخّذات من قبل « ليسبرج » و « كوبر » ، غير أن هورمان يتناول هذه المسألة من زاوية جديدة هي علاقتها بمفهوم اللّغة عند وورف

يرى هورمان أن وورف يطلق من نظرة ذرية إلى اللّغة ، فهو يأخذ المأخذ مَعرُولة عن سياقاتها الدّعوية من لغات مُحتفظة ، ثم يلاحظ - من خلال المقارنة بينها - أن ما تنطوي عليه هذه اللّغة في لغة معينة يختلف عما ينطوي عليه مقابلها في لغة أخرى - ولقد قام وورف بالطريقة الإجرائية نفسها عند تناوله للخصوصيات التركيبية - ومن ذلك - مثلاً - ملاحظته أن المِعل في لغة الهوبي يوظّف بطريقة مُختلفة عن توظيف المِعل في لغات أخرى كاللغات النموذجية الأوربية - وعُيِب هذه الطريقة الإجرائية فيما يرى هورمان أنها تُعَمَل لحوائث المتكاملة في أداء اللغة لتوظيفتها ، وطريقتها في لعمل - فإذا كان ثمة مفهوم مُعيّن تعبّر عنه في لغة معيّنة بلفظ واحد ، فإن من الممكن أن تعبّر عنه في لغة أخرى بمركَبات تعبيرية تتلاءم وطريقة اللّغة في عملها ، ومن ثم فإن سنية وورف - كما يقول هورمان - هي سببة عاصِر مُعْجَمِيَّة وبنوِيَّة ، ولست بسنية اللّغة عموماً

ومن الواضح - هنا - أن هورمان يطلق من مفهوم بنوي للغة حيث

يجب أن تؤخذ بوصفها نظامًا كليًا قائمًا على تفاعل جميع الآليات المكونة له ، وعلى تكاملها في أداء وظيفتها . ومن خلال هذا المنظور البيوي يصبح عزل عناصر معينة من سياق النظام اللغوي أمرًا محفوفًا بأخطاء الاستنتاج ، وأخطار التعميم

وعلى سبيل المثال فإن العربية تستخدم عددًا من الآليات اللغوية للتعبير عن العلاقات القرابية kinship relations . و إذا أخذنا كما هو معتاد في بحث هذا المجال الدلالي ^(٩٠) الصمير « أب » (= ego) مخور « ؛ فإنا نجد في العربية الآليات التالية

١- صوع وحدات معجمية مستقلة ، مثل : أب ، وأم ، وعم ، وخال ، واية ، وأخت ، وجدّة

٢- إلحاق صرقيم التأنيث (الناء) بلفظ القرابة المذكّر - عمّة ، وخالة ، واية ، وأخت ، وجدّة

٣- استعمال التركيب الإصافي ابن العم ، بنت الخال ، ابن بنت الخال إلخ

وبالإضافة إلى ذلك هناك عدد وافر من الوحدات المعجمية المستقلة التي تعبر عن تغير في العلاقة القرابية ، أو هي الحالة العربية والرجل الذي لم يتزوج (غرب) أو (مكسع) ^(٩١) ، والمرأة بلا روح (آيم) ^(٩٢) ، والتي لا يعيش لها ولد (مقلاب) ^(٩٣) ، وروجات رجل واحد (صرائر) ^(٩٤) ، والروجة لها ولد من غير زوجها (لعوب) ، وإد مات عنها زوجها أو طلقها فهي (مراويل) ^(٩٥) إلخ

ومن ثم فإننا عند دراسة ألفاظ القرابة في اللغة العربية ومقارنتها بهذا

المجال الدلالي في لغات أخرى يلزم أن تؤخذ في الحسبان كل هذه الآليات
مُجْتَمِعة ؛ حيث إنها تشكل ما يسميه هورمان « طريقة اللُّغة في عملها »

بيد أنه إذا كان هذا هو ما يعنيه هورمان ؛ فإنه لا يلزم القول بالنسبية ،
ولمّا يهدف إلى المريد من تمكين الأسُس التي تقوم عليها عن طريق النُّظرة
الشمولية إلى عناصر النسبية اللُّغوية

وعلى أية حال فإن أمر النسبية قد لا يكون - في بعض الأحيان - مُرْتَبَهاً -
لإثباته بهذه النُّظرة الشمولية . فما تجده في الأساق اللُّغوية يمكن أن يُعْطَى
دليلاً مباشراً على مصداقية تعاوُن اللُّغات في تجسيد المعاهيم ولعل في
المجال الدلالي الذي أشرت إليه مد قليل - وأعني به - الصَّاطِ القَرابة - ما
يؤكد ذلك بشكل واضح

ففي لغة « الجارين » في غرب أستراليا تستخدم كلمة wunji لتدلّ على
« العم » ، و « الأخ » ، و « الابن » ، و « طفل ابن الأخت »^(٩٦)

وفي لغة « النجامال » Njamal - في أستراليا أيضاً يُمكن ترجمة
الكلمات « أب » ، و « عم » ، و « حال » بعطف واحد^(٩٧) وفي هذه اللُّغة -
أيضاً - يستخدم لعط mail للدلالة على « أبي الأب » و « أخت زوجة ابن
الأخت »^(٩٨)

وفي اللغة الروسية توجد ألفاظ مستقلة تعبر عن كل من « أخى الروح »
و « أخى الزوجة » ، و « أخت الزوجة » ، و « أخت الرُّوح » ، و « زوجة
الأخ » و « روح الأخت »^(٩٩)

وفي اللغة السويدية ليس ثمة لعط مُستَقِلٌّ للدلالة على « الحَدَّة » ، أو لعط
مُسْتَقِلٌّ للدلالة على « الحَدَّة » ، وهي تعبر عن هذين المدلولين

بالتركيب الإضافي « أبي الأب » ، و « أم الأب » ، و « أبي الأم » ، و « أم الأم »^(١٠٠)

وحتى القرن التاسع عشر لم يكن في اللغة المحرية كلمة مُستقلة تدلُّ على « الأخ » ، أو كلمة تدل على « الأخت » ، وذلك على الرغم من أنها تمتلك لفظاً مستقلاً يدل على « الأخ الأكبر » ، ولفظاً مستقلاً يدل على « الأخ الأصغر » ، وكذلك تمتلك لفظين مُستقلين تدل كل واحد منهما على « الأخت الكبرى » و « الأخت الصغرى »^(١٠١) ، وذلك في مقابل اللغة الملايية Malay التي تطلق على هذه العلاقات القرابية الأربع - الأخ الأكبر ، والأخ الأصغر ، والأخت الكبرى ، والأخت الصغرى - لفظاً واحداً^(١٠٢) ، وفي مقابل اللغة الإنجليزية التي تطلق على « الأخ الأكبر » و « الأخ الأصغر » لفظاً واحداً ، وعلى « الأخت الكبرى » و « الأخت الصغرى » لفظاً آخر ويوضح الجدول التالي الذي وضعه أولمان التَّضام بين هذه اللغات الثلاث في تجسيدها لهذه العلاقات القرابية

الملايية	الإنجليزية	المحرية	
sudarā	brother	ba@rya	الأخ الأكبر
		öcs	الأخ الأصغر
	sister	nène	الأخت الكبرى
		hug	الأخت الصغرى

ولعلَّ نموذج العَاطف القَراءة في اللغة الإنجليزية يمثِّل النموذج الأقرب في هذا السِّياق - بالنِّسبة للقارئ العربي - معصلاً عن المثال المذكور منذ قليل فإِنا لا نجد - في هذه اللُّغة - تفرقة بين مفهوم « العم » ومفهوم « الخال » ، وكلاهما "uncle" كما أن لفظة niece تُطلق على « ابنة الأخ » ، و « ابنة الأخت » ، و « ابنة أخي الزوج » ، و « ابنة أخي الزوج » ، كذلك لفظة nephew تُطلق على « ابن العم » ، و « بنت العم » و « ابن الخال » و « ابنة الخالة » وأخيراً لا تفرق لفظة aunt بين « أخت الأب » ، « أخت الأم » ، و « زوجة العم » ، و « زوجة الخال »

ولا شك أن الأمثلة على ذلك كثيرة - وهي - في المحصلة الأخيرة تؤكد هذا الجانب من سُّبئية العناصر المعنوية وفقاً لاختلاف التطور الثقافي للعلاقات القرابية ، ومدى أهمية الدور الذي يلعبه هذا الطَّرف أو ذلك

لقد أشرتُ من قَبْل إلى أن اهتمام علم اللغة النفسي بفرضية السُّبئية تابع من خلال ما تنطوي عليه الفرضية من إشكالية العلاقة بين الآليات اللُّغوية والآليات النَّفسية كالتدكُّر ، والتعرُّف ، والإدراك إلخ وفي هذا السِّياق فإنَّ النِّجارب التي يشير إليها هورمان تميل إلى إقرار وجود فنز من تأثير الآليات اللُّغوية على هذه القُدرات المعرفية والأشخاص المختبرون الناطقون بالإنجليزية أظهروا قُدرة أفضل في عاده التعرُّف على « الألوان » التي لها أسماء قائمة في الإنجليزية^(١٠٣)

ولعل من أهم ما يشير إليه هورمان ها هو ذلك التطوير الحديدي الذي

أدخله جلابرر Glanzer على عِلْم نفس الإدراك^(١١٤) . فقد كانت المفاهيم التقليدية حدث الإدراك ترى أن ثمة مَرحلة تنظيمية organization phase تتوسط بين رؤية « المثير » و « الاستجابة » أما التطوير الذي أدخله جلابرر - ويُطلق عليه فَرَصِيَّة « الحلقة اللُّغوية » verbal loop فيتمثل في تعيين طبيعة هذه المرحلة التنظيمية لتعني مرحلة « التشكيل اللُّغوي المستتر » covert verbalization ومعنى ذلك أن الشَّخص المحبَر يرى « المثير » ، ثم يترجمه إلى كلمات ، و وفقاً لهذه التَّرْجُمة يؤدي « الاستجابة » . وأهم استدلال يقدمه جلابرر على هذه الفَرَصِيَّة هو أنه بقدر ما يكون المثير أكثر صُعوبة على التَّحديد بشكل دقيق بقدر ما تكون الكلمات المصوغة أكثر تعقيداً . وأكثر طويلاً

ولا شك أن صِنق فَرَصِيَّة جلابرر هذه يندم - كما يقول هورمان - أكبر دعم استدلالى لفَرَصِيَّة وورف و قيمتها التفسيرية^(١١٥) ؛ وذلك لأن المعنى الكامل لها هو أن المدركات تمرُّ قبل أن تتحول إلى وعي استبطاني apperception - بمرحلة التَّحْسيد الرَّمزي اللُّعوي . ولا شك أن هذا التَّحْسيد اللُّعوي هو ما يمتلكه إنسان ثقافة معينة ممَّا يُسمَّى بـ « دخيرته اللُّعوية » وبالتالي فإن الرُّغم بأن للغة تأثيراً على « رؤية العالم » له - بناء على فَرَصِيَّة جلابرر ما يبرره

وعلى أية حال فإن نتائج التَّجارب التي يشير إليها هورمان تدعمها نتائج تجارب أخرى قام بها كارول Carroll و كاراجرانند Casagrande على مُحَنِّرين يتحدَّثون اللغة الهويَّة ، ومحَنِّرين آخرين يتحدَّثون اللغة البافارية ولقد وصلت هذه التَّجارب إلى أن اللغة تتح اختلافاً مهماً في السُّلوك^(١١٦)

غير أنه يلزم الانتباه هنا إلى أن هذه التجارب تميل إلى تأكيد الصيغة المعتدلة لطرية السُّنية : وهي الصيغة القائمة على أن للعبة - بالفعل - تأثيراً معيناً على الفكر والسلوك ، ولكنه تأثير لا يرقى إلى درجة الدور الكلي والحاميم الذي أسده وورف للعبة . ولعل الوصول إلى هذه النتيجة يحل إشكالية تستق من وجود تجارب أخرى تعي فكرة « تحديد اللغة للفكر » فهذا النوع الثاني من التجارب لا تأتي نتائجه مناقضة لنتائج النوع الأول ، وذلك لاختلاف ما يُراد اختياره في كلا النوعين : ففي النوع الأول يراد اختبار ما إذا كانت اللعبة « تؤثر » على الفكر والسلوك ، وفي النوع الثاني يراد اختبار ما إذا كانت اللعبة « تحدد » الفكر والسلوك (١٠٧)

وعلى كل فإن هذه التجارب التي أشرنا إلى مُحصلة نتائجها تبين أن ثمة اتجاهاً إلى نوع من التصالح مع فرضية وورف من خلال تبني صيغتها المعتدلة . ولعل هذا ما يُكتمه - بشكل واضح - قول ميللر Miller - وهو أحد المرّزين في علم اللغة النفسي - من أنه « إذا كان صحيحاً ما يعتقد سايبر و وورف في أن لغتنا تشكل عالمنا النفسي ، فإن من الصحيح بدرجة مساوية على الأقل أن عالمنا النفسي يشكل لغتنا » (١٠٨)

وربما كانت المحصلة التي يمكن الخروج بها من ذلك هي أن هناك مساحة للخصوصية يمكن لفرضية السُّنية اللغوية أن تتحرك خلالها ، كما أن هناك مساحة لعمومية يمكن لبحث العموميات اللغوية الكشف عنها من خلال الاشتراك القائم بين الأنظمة اللغوية التي تصدر جميعاً عن مبادئ أساسية عامة

غير أن النقد الذي يمكن أن يُوَحَّه إلى مثل هذه التصوُّر يتأتى من كونه يجرى النظام اللُّغوي المعَيَّن إلى دائرتين دائرة هي من خصوصية هذا النظام ، ودائرة تمثل القدر العام الذي يجمع هذا النظام بغيره من الأنظمة اللُّغوية الإنسانية وهذا التجزئة لا يكشف عن الكيفية التي تؤثر بها كلُّ دائرة على الأخرى ، كما أنه لا يكشف عن حجم الخصوصية بالنسبة للعمومية وإذا سلمنا ببنوية النظام اللُّغوي ، وقيام مستوياته المختلفة على علاقات التأثير المتبادل ؛ فإننا نتصور أن ما هو خاص في كل نظام لا بد أن يؤثر بالتحوير والتكييف على ما هو عام

والقول - مثلاً - بأن « جميع اللغات الإنسانية تحتوي على تراكيب محولة للبناء للمفعول passive ^(١٠٩) » لا يلعب خصوصية كل نظام في صياغة هذا النمط التركيبي ليستج قيمة دلالية ذات رؤية خاصة .
فالفئة الرومية ^(١١٠) مثلاً تسمح بوجود التركيب التالي :

* Mašu ubili

حيث بي الفعل للمجهول في شكل صيغة الجمع العائب ، ومن ثم فالترجمة الحرفية للتركيب هي .

* قتلوا ماشو

ولكنه تركيب يؤدي - وظيفياً - ما يؤديه التركيب العربيُّ

* قُتِلَ ماشو

وربما بجعلنا ذلك سنتتبع أن اللغتين تشتركان في وجود تراكيب للبناء

للمفعول - أو للمجهول - حينما يكون الفاعل غير مصرّح به ، ولكهما
تحتلغان في تصوّر طبيعة هذا الفاعل فالترسّية هي التركيب السابق
نتصوره « حَمَمًا » ، أما العربية فإنها حين تبني التركيبين التاليين للمفعول

* قتل الرجال ريذا

* قتل عمرو ريذا

لا تصح أي علامة و سِمَة للدلالة على عدد الفاعل المجهول أو نوعه ، ومن ثم
يُحوّل التركيبان إلى -

* قُتِلَ رَيْذٌ

ولعلنا من خلال هذا النموذج البسيط نتفق مع تلك النتيجة التي يسوقها
كومري حين يقول : « إن تركيب الباء للمفعول يتميز بوضعه عَمَلِيَّة يتم
فيها حذف الفاعل الأصلي ، أو نقله إلى موضع المركّب المتعدي agentive
phrase ، في حين يتم نقل المفعول الأصلي إلى موقع الفاعل وفيما عد هذه
النّواة فإن اللغات تختلف فيما بينها فيما إذا كانت تسم صيغة التمييز في
المركّب العَمَلِي ، أو المركّب الاسمي ، وفي كيفية هذا الوسم »^(١١١) ولعلنا
للمرء أن يتصوّر أن وجود هذا الوسم ، وكيفية ، أو عدم وجوده ، مسألة
ترتبط برؤية خاصّة لدى أصحاب اللغة في تصوّر الواقع والحياة والكون

وإذا انتقلنا إلى معالجة دان سلوين فإننا نجد يسوق رأيه في فرضية وورف
على أساس تقسيمها إلى شكلين^(١١٢) .

١- الشكل الأقوى : وهو ما تبناه وورف نفسه ، ومؤداه أن اللغة تحدّد الفكر ، وأنماط السلوك ، أي أن اللغة - في هذا المنظور - نوع من قوالب الفكر وفلسفة الحياة

ب- الشكل الأصعب : وهو - كما يقول سلوين - الشكل المتبني في الوقت الحاضر بطريقة أو بأخرى وهذا الشكل يقوم على أن جواب معينة من اللغة يمكن أن تجعل الشعب يفكر ، أو يتصرف ، بهذه الطريقة دون تلك

ومن ثم يقسم سلوين اللغة - أيضاً - إلى جانبين

١ الجانب المعجمي

٢- الجانب النحوي .

ويلاحظ أن اللغات تختلف فيما بينها في مدلولات المفردات المعجمية ولكنه - مع ذلك - يتبنى بخصوص الجانب المعجمي الشكل الأصعب من نظرية وورف قائلاً : « فهذا الشكل يصح فرقاً مهماً بين السلوك الظاهر والسلوك الكامن وعلى سبيل المثال فعلى الرغم من أن كل الشر لديهم القدرة الكامنة على التمييز بين العدد الصحيح من الألوان ، إلا أن معظم الناس لا يستخدمون إلا عدداً قليلاً من ألوان المعتادة في لغة الحياة اليومية وفي حين أن من الصحيح أن المرء يمكنه أن يقول أي شيء بأية لغة ، فإننا لا نتحدث إلا عن الأشياء التي يشيع تجسيدها اللغوي بشكل واضح وعلى هذا فإن قائمة المفردات الشائعة في مجتمع لغوي معين يمكن أن تعطيك مؤشراً أولياً جيداً عما يمكن أن يكون ذا أهمية خاصة بالنسبة لأعضاء هذا

المجتمع (١١٣)

ومن الواضح أن سلوبس - ها يرى أن كُُلُّ اللغات الإنسانية تتساوى فيما يمكنها التعبير عنه ، ولكنها تختلف فيما تعبر عنه بالفعل وهذه التفرقة - فيما يبدو لي - لا تريد على كونها إقراراً بالواقع الذي قامت عليه فرصة النسبية اللغوية (أي أن اللغات تختلف فيما تعبر عنه) أما مسألة تساوي اللغات في إمكانية التعبير عن كل شيء فهي من قبيل التجريد المخصص ، وذلك لأن أي شوط تقطعه اللغة في التعبير عن أشياء لم تكن قائمة فيها إنما يعكس نوعاً من التعبير في مجموع المفاهيم التي تشكل رؤيتها الكلية ، وممارستها الواقعية وهذا التعبير يتم من خلال محوري « الحدف » و « الإضافة » وفق ملامسات التعبير الثقافي

ولعل ذلك يجعلنا نصل إلى القول بأن مفهوم « الرؤية الكلية » أو « الخصوصية الثقافية » لا يعني الثبات السرمدي لمفاهيم تتجاوز إمكانات التعبير ، وتتعالى على احتمالات التحول فالمفاهيم مؤهلة دائماً للدخول في علاقات مع غيرها من أساق المفاهيم التي تطرحها تجارب التفاعل مع الواقع والخبرة الخاصة ، ومع خبرة أنظمة ثقافية أخرى

وإذا أخذنا مجال « الألوان » الذي يشير إليه سلوبس فإن من الصحيح أن ثمة قدرة إدراكية كامنة لدى كل البشر على التمييز بين عدد ضخم من درجات الألوان (١١٤) ولكن هذه القدرة تظل محدودة الدلالة إلى أن تتجسد في صنيع لغوية معينة لدى هذا المجتمع اللغوي أو ذاك وهي حين يتم لها هذا التجسد إنما تكشف عن دلالات خاصة في منظومة رؤية أعضاء هذا المجتمع :

وفي اليابانية تعني كلمة awo « الأخضر » و « الأرق »
و « الداكن »^(١١٩)

وفي مقابل هذه الاختلافات القائمة بين اللغات في « الاستقطاب »
الذي يؤديه اللَّمَظ اللُّوني الواحد ، هناك أيضاً - ظاهرة الاختلافات
في « التفريق » ، حيث تعبّر بعض اللغات - بالمعاط لونية مُحْتَلِمة عن
مُتْرَكَات تبدو في نظر لغات أخرى متماثلة لونياً

فاللغة السافاهية تمتلك لَفْظَيْن للدلالة على « الأسود » أحدهما يدلُّ على
سواد الظلام ، والآخر يدل على سواد الأشياء (كالمحرم مثلاً)^(١٢٠)
والروسية تميّز بين نوعين من « الأرق » : smj في مقابل goluboj ، بمعنى .
« الأرق الداكن » في مقابل « الأرق الفاتح »^(١٢١) وفي اللغة المجرية لمطابق
للتعبير عن « الأحمر »^(١٢٢)

ولعل إذا أخذنا بما يورده اللغويون العرب^(١٢٣) حول هذا المجال الدلالي -
المعاط الألوان - فإننا س نجد مُعْجَماً لونياً بالغ التعقيد بتلك التدقيقات
والتفريقات بين درجات اللون الواحد . وكان وراء ذلك محاولة لإقامه توازن
تام بين اختلاف المُتْرَكَات اللونية والصَّيْغ اللُّغوية المسمية لها ولعل المحاور
التالية على الأقل تمثل جهات دلالية لهذه التفريقات اللونية

أ- تمييز درجات اللون الواحد

فدرجات « الأبيض » - مثلاً - تتصاعد في الدلالة على شدة « البياض »
على النحو التالي . أبيض ، ثم يقق ، ثم لهق ، ثم واضح ، ثم باصع ، ثم
هجاج وخالص^(١٢٤)

ب تمييز الوصف اللوني حسب اختلاف نوع الموصوف

إذا أردنا أن نوصف شيئاً بأنه « أبيض » فإننا نختار وصفاً لونياً معيناً من الأوصاف الدالة على « البياض » فنقول رجل أبيض ، و امرأة رعبوية ، وشعر أشعث ، وفرس أشهب ، ويمبر أعيس ، وثور لهنق ، وبقرة لباح ، وحمار أقمر ، وكئش أملح ، وطي آدم ، وثوب أبيض ، وفضة يقق إلح (١٢٥)

ج تمييز الوصف اللوني حسب اختلاف موضعه في الموصوف الواحد

والفرس يكون « أذرع » - إذا كان أبيض الرأس والعنق ، و « أصتقع » - إذا كان أبيض أعلى الرأس ، و « أقعب » - إذا كان أبيض القما إلح (١٢٦)

د تمييز الوصف اللوني حسب قرينه من وصف لوني آخر

« الصبهة » حُمْرة تصرب إلى بياض ، والكهبة - صُفْرة تصرب إلى حُمْرة ، و « القهبة » سواد يصرب إلى حُمْرة إلح (١٢٧)

وهكذا يتبدى لنا من خلال هذه النظرة الأولية أن ثمة خصوصية تسم المعجم اللوني العربي وهذه الخصوصية تكمن في أن هذا المعجم يقيم علاقة « موازنة » مع كل درجة من درجات التعاير في المدركات اللونية وكان اللعة - من خلال علاقة الموازنة تلك - تتحوّل إلى مرآة دقيقة لتفاصيل عالية الإدراك (١٢٨) ولعلنا نصل - في هذا السياق - مرة أخرى إلى النتيجة نفسها التي وصل إليها فيشر في دراسة اللون في الشعر العربي القديم فتحن أمام منطق « تدرّجي » وليس منطقاً ثنائي القيمة ، كذلك الذي مجده في اللغات

التي تقسم مجال الألوان إلى قسمين كُثرين : « العاتق » و « الداكن » (١٢٩)

ولعل النتيجة التي يقررها كونكلن تبدو ذات أهمية بالنسبة لسياقنا الحالي ، فهو يقرر أن ألفاظ الألوان « جزء من مفردات لغة معينة ، وليس سوى التحصيل عبر الثقافة لمثل هذه الوحدات المعجمية وارتباطها يمكن أن يقدم المفتاح لفهمها » (١٣٠) ويبدو لي أن التحلص من هذه المحمول الثقافي الذي نحاول بعض اتجاهات البحث (١٣١) أن تصل إليه من خلال القول بالعموميات اللغوية لا يمكن أن يتم إلا في صور بالغة التجريد.

أما بالنسبة للمجانب الشخوي فإن سلوبس يشير - أيضاً - إلى حقيقة وجود الاختلافات اللغوية وهو الأمر الذي قد - كما يقول - كثيرًا من المفكرين إلى استنتاج أن ثمة نوعًا من النسبية لفرعية cognitive تواري هذه النسبية اللغوية ولكن على لرغم من هذا الإقرار فإن سلوبس يرى أن هذه الاختلافات الواضحة بين اللغات لا يقع معظمها فيما تستطيع اللغات أن تعبر عنه ، بل فيما تعبر عنه بالفعل ، وفيما يطلب منها التعبير عنه (١٣٢)

ومن الواضح أنه لا حديد في هذا الاستدلال فافتراض أن اللغات « متساوية » فيما يمكنها التعبير عنه بوسائلها الشخوية الخاصة يظل محرّد افتراض مجرّدي ، كما أنه يفعل ما يمكن أن يعطيه العلاقات الشخوية الخاصة بهذه اللغات المعينة من دلالة تختلف عما يعطيه العلاقات لشخوية الخاصة بلغة أخرى

وعلى سبيل المثال يمكن أن نقول إنا في الحملتين (١) و (٢) في العربية -

(١) رأى الأب الأح

(٢) صرب الأب الحصان

لا نجد تمييزاً للماعل (= الأب) بسبب اختلاف المجال الدلالي لكلا المعلنين ، حيث يدل الأول « رأى » على فعل إدراكي ، ويدل الثاني (صرب) على فعل تأثير مادي . ولكن هذا التمييز أمر وارد « فيما تعبر عنه » اللة اللاكية Lak عند ترجمة هاتين الحملتين إليها ، حيث يصح « الأب » في الحملة الأولى : buttan وفي الحملة الثانية battal^(١٣٣) ، وذلك للتمييز بين خصوع « الأب » لعمل الرؤية ، وفعاليته المؤثرة في فعل الصرب

وإذا شئت مثلاً أبسط من ذلك فإن الحملة (٣) في العربية .

(٣) جرّ زيد

يمكن أن يعبر عنها في الإنجليزية مثلاً بالحملة (٤)

(٤) Zaid goes mad.

ولكن هذه « الإمكانية التعبيرية » لا تعطي التصور الكامل وراء بناء الفعل العربي للمجهول : حيث ثمة دلالة على قوة غيبية استولت - أو بتعبير اشتقاقي : عطلت - على عقل زيد^(١٣٤)

إن سلووس يُحاول ، من خلال إقامة فكرة اختلاف اللغات فيما تعبر عنه بالفعل وتساويها فيما يمكن أن تعبر عنه ، أن يصل إلى نقي السيطرة الكاملة لللة في تشكيل الإدراك والمعرفة ، وأن يصل - في الوقت نفسه - إلى التسليم بوجود جوانب معينة من اللة تؤثر على جوانب معينة من الإدراك والمعرفة

ومن الواضح أن هذه المحاولة تعتمد إلى تعديل الجانب الختامي من فرضية وورف إلى صيغة مُحَقَّقة ، وذلك ليسمح بوجود مساحة للقول بأن ثمة عناصر تشمل جميع اللغات الإنسانية ؛ ومن ثم فإن سلوك يحتم مُعالجته بقوله . « إن المصير الذي وصلت إليه فرضية ساير و وورف في الوقت الحاضر - يعد أمراً طريفاً . فنحن اليوم مُهْتَمُّون بالعموميات اللُّغوية ، والعموميات الثقافية ، أكثر من اهتمامنا بالنسبة اللُّغوية والثقافية » (١٣٥)

ويستند سلوك في ذلك على مُعطيات ما طرحته بعض الاتجاهات العلمية في مجال اللسانيات ، والأنثروبولوجيا ، وعلم النفس ، منذ أن عقد مؤتمر « العموميات اللُّغوية » في دويس فيري (أمريكا) سنة ١٩٦١ (١٣١) ، ومنذ أن ظهر عمل بيرلين Berlin و كاي Kay حول الألفاظ الأساسية للألوان وهي سياق هذا التوجُّه يشير سلوك إلى رأي تشومسكي في أن بسية وورف انصب اهتمامها - بالدراسة الكُبرى - على بحث « البنيات السطحية » للغات ، في حين أن كل اللغات في مستوياتها الأعمق - تنتمي إلى طبيعة إنسانية عامَّة واحدة . كذلك يشير سلوك إلى اتجاه الأنثروبولوجيا الثقافية إلى البحث عن الطرق التي تتماثل فيها البنيات التحتية للثقافات . وأخيراً يشير سلوك إلى تحرك علماء النفس خارج نطاق الثقافة العربية صوب دراسة التفاعلات الثقافية ، وذلك في محاولة لمُهم القوانين العامة للسلوك والنمو الإنساني (١٣٧)

ولمَّا كان رَصد اتجاه هذه العلوم صوب البحث عن « العام » لا يعني - بالضرورة - إلقاء وجود « الخاص » ؛ فإن سلوك يُطْلِق هذا التحذير الذي يسمُّ على دقة هذه المسألة : مسألة علاقة اللغة بالرؤية الثقافية لأصحابها ، كما أنه

يسم على ذلك الاتجاه نحو التصالح مع فرضية النسبية اللغوية في صيغتها المعتدلة يقول سلويز « إن من الخطورة بمكان أن ننسى أن اللغات والثقافات المختلفة ربما يكون لها تأثيرات مهمة فيما يعتقد الناس ، وفيما يفعلونه »^(١٣٨) ومن الواضح أن هذا القول قد صيغ بطريقة احتمالية ، الأمر الذي يعني أن المسألة لا تزال بحاجة إلى المزيد من البحث والاستقصاء



ذكرت من قبل أن اهتمام علم اللغة الاجتماعي بفرضية النسبية اللغوية نابع من اهتمامه بالعلاقة بين اللغة والمؤسسات الاجتماعية ، والعمليات الاجتماعية المختلفة ولما كانت تلك المؤسسات وهذه العمليات تمثل قصب « واقعية » يمكن ملاحظتها ، واختبار محتوياتها العملية ، فإن أوضح ما يواحه عالم اللغة الاجتماعي هو حقيقة « التنوعات » ، سواء التنوعات اللغوية ، أو التنوعات الثقافية ؛ ومن ثم فإن ديل هايمس يرى أن فرضية النسبية اللغوية - وفق صياغة ساير و وورف - نسبية من الدرجة الثانية ؛ حيث إنها « تعتمد على نسبية أولى هي النسبية الاجتماعية اللغوية sociolinguistic relativity ، ومؤداها أن اللغات ترتبط بالحياة الاجتماعية بشكل متفاوت »^(١٣٩) وإذا كان وصف لغة ما كما يقول هايمس - يمكن أن يكشف عن أنها تعبر عن أسلوب معرفي معين ، وربما عن انحرافات ميتافيزيقية صمنية ، فإن ما يُعطي اللغة فرصة التأثير على الأفراد والسلوك سوف يعتمد على درجة قبولها - وبمط هذا القبول - في الأحداث الاتصالية «^(١٤٠) ويعطي هايمس نموذجًا لضرورة ذلك الرُبط بين اللغة والدور الذي تحتله في سلّم الأحداث الاتصالية من خلال حالة « الشائبة

اللُّغوية « bilingualism » حيث لا يُتوقع - مثلاً - « أن السحالي الذي يستخدم الإنجليزية لغة رابعة في أعراض تجارية معينة سوف يتأثر - بشكل عميق - في نظرته إلى العالم بتركيب هذه اللغة »^(١٤١)

ويحاول هايمس أن يخلص الفرضية من ذلك الظاهر التجريدي الذي أصفه وورف على دور اللغة في تشكيل التجربة الثقافية وتتمثل محاولة هايمس تلك في الربط بين كود اللغة وسيلة لتصنيف التجربة ، وكوب - في الوقت نفسه - أداة للاتصال ومن ثم فإن ما يلاحظ من أن اللغة تتيح في كثير من الأحيان عدداً من البدائل لتصنيف التجربة الواحدة يؤكد أن انماط الاختيار من بين هذه البدائل يجب أن يحدد في سياقات الاستعمال الفعلية ، وحسب الدرجة التي تستعمل بها اللغة بوصفها أداة دلالية واضحة^(١٤٢)

وعلى نحو مماثل يأتي نقد « حودي » و « وات » لربط وورف « اختلاف النظرة إلى العالم باختلاف اللغات فقط » وهما يريان أن «لأنثروبولوجيين الذين اقتصروا في تفسير اختلافات «رؤى العالم» على «اختلاف اللغات» لم يعطوا إلا وزنًا ضئيلاً لتأثير طريقة لاتصال»^(١٤٣) وتعد « معرفته القراءة والكتابة » في رأيهما - من أهم هذه الطرق التي تترتب عليها نتائج اجتماعية جوهرية ، ومن ثم يشير إلى أن كثيراً من العناصر التي ذهب وورف إلى أنها من سمات اللغات الأوربية المودجيه تنطبق والعناصر التي تمير المجتمعات التي تمتلك أنظمة كتابية مبسرة وشائعة^(١٤٤)

ولعل الأمر الواضح من خلال وجهات النظر تلك هو أن ثمة ميلاً نحو الإقرار بالنسبة ، ولكن من منظور يختلف عن منظور وورف

و « هاجمس » يربط النسبية اللغوية بسببية أعم هي النسبية الثقافية اللغوية و « جودي » و « وات » يربطان النسبية باختلاف طريقة الاتصال التي يمارسها مجتمع معين عن طريقة الاتصال التي يمارسها مجتمع آخر . وبالتالي فإن « العوامل الثقافية » - وليس « العوامل اللغوية » - هي التي لها الصدارة في تشكيل الرؤى المتباينة

وربما كان التطوير الذي قلعه بارل برشتين - في هذا السياق - يمثل جهداً متميزاً يحسن أن نقف عنده في نهاية هذا العرض لتطور فرصية النسبية اللغوية

ينطلق برشتين في دراسة مشكلة العلاقة بين الأنساق الرقمية وأنساق البنى الاجتماعية ليس من منظور تأملي تعميمي ، وإنما من خلال أسس تجريبية (إمبريقية) تحاول اختار التصورات والعرضيات في سياق ثقافي محدد ، بل في سياق بنى طبقية اجتماعية وأنساق لغوية فرعية محددة ؛ ومن ثم فإن برشتين يفرق بين ما يسميه « الشعرة اللغوية » linguistic code و « الشعرة الكلامية » speech code وربما توقع القارئ أن هذا التقسيم يطابق تقسيم دو سوسير الشهير بين « اللغة » و « الكلام » ولكن هذه « المطابقة » تنهي عندما نتابع توصيح برشتين لمصطلحيه « فاللغة هي مجموعة من القواعد التي تحصص لها كل الشعرات الكلامية غير أن هذه الشعرات الكلامية المتحققة واقعياً هي وطبيعة للثقافة المعاصرة غير العلاقات الاجتماعية في سياقات محددة ؛ ومن ثم فإن الأشكال أو الشعرات الكلامية المختلفة تعكس شكل العلاقة الاجتماعية ، وتنظم طبيعة كلام المتحاورين ، وتحلق للمتكلمين أنظمة مختلفة من الصلات والعلاقات ، وبالتالي فإن تجربة

المتكلمين تتحول وفق ما يجعله الشكل الكلامي ذا معنى ، أو ذا أهمية . (١٤٥)

إذن و « برشتين » لا ينظر إلى « الكلام » كذلك النظرة التي نجدها عند دو سوسير ، أو حتى عند تشومسكي (١٤٦) و « الكلام » في تصور دو سوسير وتشومسكي معاً - كيان متناهي ، ومليء بأوجه النقص والشذوذ أما هنا فنحن أمام « شجرة كلامية » ، أي أمام نسق ترتسم فيه - من ناحية - أشكال العلاقات الاجتماعية في سياق اجتماعي معين ، ويقوم - من ناحية أخرى - بتنظيم هذه العلاقات ، وتوجيه التجربة الاجتماعية عن طريق تحديد ما له معنى وأهمية داخل هذا السياق الاجتماعي المعين .

ومن الواضح أن فرضية وورف تظل برأسها . فالشجرة الكلامية ليست اختيارات عشوائية غير متجانسة ، وإنما هي نسق من المعاني والقيم التي تسم أوضاعاً اجتماعية معينة وهذا النسق له قواعد التي تنتمي إلى طبيعة قواعد « النسق الثقافي » (١٤٧) وحتى إذا كان هذا النسق في أساسه - « وظيفة لتنظيم اجتماعي معين » فإن هذا لا يعني أنه بدوره لا يقوم بعملية التحوير بل حتى التعبير - لهذا التركيب الاجتماعي الذي طور بدءاً - هذا الشكل الكلامي . (١٤٨)

ومع ذلك فإن الملاحظ هنا هو أن برشتين يُعطي طرخاً يختلف عن طرح وورف من جهتين على الأقل .

أولاهما هي أن وورف كان يتحدث عن « نظام لغوي » شامل ، أما برشتين فهو يتحدث عن « نظام كلامي » داخل « النظام اللغوي » وبالتالي

فيان النسبية - ها - ليست من نظام نعوي إلى آخر ، وإنما قد تكون داخل النظام النعوي الواحد (سيأتي حديث برشتين عن الشجرة الكلامية لدى أباء الطبقة العمالية ، والشجرة الكلامية لدى أباء الطبقة المتوسطة)

أما الجهة الثانية فهي أن وورف كان يتحدث عن « سيطرة طاعية » للغة في تشكيل رؤية العالم ، أما برشتين فهو يتحدث عن علاقة تأثير متبادلة بين الشجرة الكلامية والتركيب الاجتماعي

وفي هذا السياق يقدم برشتين مفهومين أساسيين يترددان في كتاباته ، وهما (١٤٩)

* الشجرة المقيدة restricted code

* والشجرة الموسعة elaborated code

وهو يرى أن هذين المفهومين يميزان خصائص كلامية لأوضاع طبقية واجتماعية معينة ، وأن وجود أي من الشجرتين يعمل على ترسيخ هذه الأوضاع واستمرارها ، الأمر الذي يترتب عليه نتائج تربوية ، وردود فعل متبادلة في مجال العملية التعليمية أو فشلها

والمثال الذي يُعطيه برشتين هنا هو ذلك الارتباط بين « الشجرة المحدودة » والطبقات العمالية ، وبين « الشجرة الموسعة » والطبقات المتوسطة وهو - في هذا السياق - يقدم جملة من خصائص (١٥) النمط الكلامي الذي يسم « الشجرة المحدودة » ومن هذه الخصائص

١ التركيب النحوي القصير والبسيط ، وحمل غير التامة ، مع فقر في الأشكال التركيبية

٢ - الاستعمال السيط والتكراري لأدوات الربط

٣- قلة استعمال الحمل التابعة

٤- الاستعمال المحدود للصّفات والطُّروف

٥ - نُثرة استعمال الصّمائر غير الشّخصية في موقع المسند إليه

أما خصائص « الشّجرة الموسّعة » فمنها -

١ - التنظيم النّحوي الدقيق

٢- التخويرات المنطقية ، والجمل المركّبة عن طريق استعمال أصناف من

الروابط والحمل التابعة

٣ - كثرة استعمال الحروف التي تدل على العلاقات المنطقية ، والحروف

التي تدل على الامتداد الرّماني والمكاني

٤- كثرة استعمال الصمائر غير الشّخصية

٥- الاختيار والتمييز بين أصناف الصّفات والطُّروف

وفي بحث تأثير هذين السّقّين الكلاميين على تكوين المعرفة ، وعلى عملية التّشكّل الاجتماعية يرى برنشتين أن « الشّجرة المحدودة » تشير إلى وجود تنظيمات معيارية للمجموعة ، وليس إلى وجود فردية التّجربة لدى أعضاء هذه المجموعة . كذلك تشير هذه الشّجرة إلى أن مُستعملها يمتلك نظاماً إدراكياً معلقاً إلى حدّ ما ، ويمتلك نظاماً تصوّرياً متدياً . والطفل الذي يشأ في إطار هذا السّقّ الكلامي يظلّ محصوراً في العمليات المرتبطة بالمحسوسات ومن النّاحية الاجتماعية فإن المتّمنّين لهذه الشّجرة يحصّعون لقيمة اجتماعية ذات

أما الشجرة الموسّعة فإنها تكشف عن الاهتمام بمردية الدّور الاجتماعي ، كما أنها تظهر الإيمان بوجود البدائل الواقعية ، والتّصكير العقلائي ، وغير العيكر عن الشّعور ، وغير الدات عن الآخر (١٥٢)

وإذا كانت تلك هي المحصّلة التي يُمكن استخلاصها من عرض نظرية برشتين فإن ما يشقّها هو أن مفهوم « السّبية اللّعوية » ليس مفهومًا مُطلقًا أو مجردًا فكل « سياق اجتماعي » يحمل في طيّاته قدرًا من الخصوصية التي تشكّل بنية العلاقات والرؤى والمعايير القائمة داخل هذا السياق وإذا كانت بحوث برشتين تشير إلى وجود هذه الخصوصيات المختلفة داخل النظام اللّعوي الواحد ؛ أي داخل ما يمكن تسميته بـ « السياقات الصّغرى » ، فإن من المتوقّع - إلى حدّ كبير - أن نجد هذه الخصوصيات المختلفة قائمة بين الأنظمة اللّعوية المختلفة ؛ أي بين ما يمكن أن نسميه « السياقات الكُبرى »

الختاتمة

لقد كان الهدف الأساسي من هذا البحث أن يقدم صورة لتطور إحدى القصايا التي شملت وربما لا تزال تشمل الفكر الدلالي الحديث والمعاصر وهي قضية تقع في لب العلاقة بين اللغة والسباق الثقافي ، وما إذا كان اختلاف الأنساق اللغوية له أثر في تشكيل رؤى ثقافية مختلفة

ولعل أبرز ما اتضح من خلال هذا البحث أن هذه القضية ليست مجرد تأملات فلسفية مخصصة ، بل إن وجود فهم عميق لها مما يترتب عليه نتائج بالغة الأهمية ، سواء في فهم الظواهر اللغوية ، أو المشكلات الثقافية ، أو المفاهيم المعرفية ، أو الاعتبارات التربوية . ومن هنا فقد رأينا الاهتمام بها يتأتى من أكثر من سق علمي . الأنثروبولوجيا ، وفلسفة اللغة ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، فضلاً عن اللسانيات . ولقد حاول البحث أن يعطي - في حدود إمكان صاحبه - صورة من إسهام كل سق من هذه الأنساق العلمية

ولما كانت هذه الإسهامات المختلفة تكشف عن تصورات مختلفة يصندد فرصة السسية اللغوية فقد كان لإراماً أن يكون ثمة معيار يحتكم إليه الباحث في معالجته لهذه التصورات . ولقد تمثل هذا المعيار في الاعتماد على أمرين . أولهما ، اختبار منطقية الاستدلال المطروح من الوجهة المنهجية وثانيهما ، الرجوع إلى غادج من الظواهر اللغوية التي تقدمها لغات مختلفة

ولعل الأمر الذي أمكن لهذا البحث أن يرصده هو أن الإسهامات المتعددة التي عاينت السُّنية اللُّغوية يمكن تقسيمها إلى اتجاهين كبيرين .

أولهما يرى أن « اللغة » سبق (أو شعرة) من القواعد الدُّمى التي تقوم استجابة لمعطيات مبادئ عامة وعميقة في العصل التشريعي وبالتالي فإن اختلاف اللغات ليس إلا اختلافاً في السُّنن السُّطحية ، أو في التَّصبيات الهامشية وبالتالي - أيضاً - فإن هدف هذا الاتجاه تمثّل في محاولة الوصول إلى تلك « المبادئ العامة » التي تقوم عليها اللغات الإنسانية جميعاً

أما الاتجاه الثاني فقد رأى أن اللغة سلوك ثقافي « بمعنى أن تبني كل سق ثقافي لسق لُغوي معيّن ليس مجرد اختيار عشوائي لوسيلة « الإعلان » عن أفكاره وأعراسه ، وإنما هو بناء تنظيم رمزي يجسّد من خلاله منظوره للحياة ولمعى الوجود . وحالما يتم بناء هذا التنظيم فإنه يدرس تأثيره الداني في ترسيخ رؤية هذا السق الثقافي المعين ، وذلك لأن عملية التَّشنة اللُّغوية في هذا السق إنما هي - في صميمها - تشنة ثقافية . باكتسابها يتم اكتساب تصيب الأشياء والظواهر ، وتكوين القيم والمعاني الاجتماعية

ولقد بدا للباحث أن الاتجاه الأول يحمل - في طياته - قنراً كبيراً من التجريد والصورية التي تسقط من حسابها كثيراً من جوانب ثراء التجارب الإنسانية المتنوعة التي توجد - بأشكال مختلفة - معاييرها ومثلها الخاصة كذلك فقد بدا للباحث أن هذا الاتجاه مُضطَرّ - في كثير من الأحيان - إلى وسنم أي ظاهرة لُغوية لا تستجيب للمودج الصوري المعمّم بأنها من « خصوصيات » اللغة المعينة ، وبالتالي فهي غير جوهرية في « شعرة » النظام اللُّغوي الكلي . وفصلاً عن أن هذا الوسم يجعل جدل العلاقة بين ما هو

« خاص » وما هو « عام » في النظام اللغوي المعين ، وبالتالي يُعْمَل ببيوية هذا النظام نفسه . فإنه أيضاً يكشف عن خلل هذه المعيارية الصورية

ولعلني في هذا السياق أذكر تلك العبارة السديدة التي يقولها شتراوس
 « إن جميع الشر بلا استثناء - يملكون لغة ، وتقنيات ، وفناً ، ومعارف
 وصنعية ، ومعتقدات دينية ، وتنظيماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، غير أن
 المقادير والنسب ليست دائماً هي ذاتها عند كل الثقافات »^(١) كذلك يمكن
 أن يُشار إلى إدراك بعض البيولوجيين أن « التكافؤ البيولوجي » لا يعني -
 بالضرورة - « التكافؤ الاجتماعي » . فمع أن الجوع هو الجوع إلا أن
 الجوع الذي يشعه أكل اللحم النيء بالأيدي والأصابع يختلف تماماً عن
 الجوع الذي يشعه أكل اللحم المطبوخ بالشوكة والسكين . وكل البشر
 يولدون ، ومعظمهم يُنجبون ، وكلهم يموتون ، على أن المعايير الاجتماعية
 المستخدمة في أي من هذه الأفعال تختلف اختلافاً عميقاً من حضارة إلى
 أخرى ، ومن محيط لآخر داخل الحضارة نفسها .^(٢)

ومن ثم فقد كان الخط المكثري الذي وجّه الداحث خلال مُعالجة هذه
 القضية هو النظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة ثقافية تتشكل برؤية أصحابها ،
 ووعيهم ، وإدراكاتهم ، وتقوم - في الوقت نفسه - بتشكيل عوامل
 الاستمرار لهذه الرؤية . ولم يكن ذلك ليعني أن اللغة تسيطر « سيطرة
 حاسمة » على تشكيل السق الثقافي كما ذهب وورف ، إذ إن ذلك - بساطة
 يلعب - على الأقل - قضية « التعيّر اللغوي » من أساسها . كما أنه يصل
 باللغة لتكون « سقاً معلقاً » ، وبالتالي يصل بفكرة « الخصوصية الثقافية »
 لتكون مفهومًا فوقيًا متعاليًا ، وغير خاصص للشرائط التاريخية ، وملائسات
 التفاعل مع أساق ثقافية أخرى . يقول اللغوي الإسباني ألونسو Alonso « إن

اللغة نظام خاصص دائماً لإعادة التشكيل ^(٣) وهو يشير في هذا السياق إلى
كيفية إعادة بناء المفردات الإنسانية لدى إنسان « البامبا » لتلائم ثقافته
الخاصة

وبعبارة مُجَمَّلة أقول إن مفهوم الباحث للخصوصية اللغوية الثقافية هو
أنها فعالية بنيوية تقوم فيها اللغة بدورين : دور الحامل لخبرة نمط ثقافي
معين ، و دور المرسّح لاستمرار هذه الخبرة ، وهي فعالية ليست مُغلقة
وبهائية ، وإنما تقبل أن تتحول وأن تتشكل لتعيد صياغة غلافاتها الداخلية
وفق ما تغلبه تحولات الخبرة والخصوصية اللغوية الثقافية أشبه ما تكون بنقاط
على معيار متدرّج تختلف فيه المساحة حسب اختلاف قياس المساحة بين أي
نقطتين واقعتين على هذا المعيار - فمساحة الخصوصية بين الأساق الكلامية
المرزعية داخل النظام اللغوي الواحد أقل من مساحة الخصوصية بين أنظمة
لغوية متباعدة

وإذا كان هدف هذا البحث هو تقديم صورة لتطور فُرْصِيَّة السُّنِيَّة اللُّغَوِيَّة
فإن ذلك قد أصفى على البحث - وفق مقتضى موضوعه طابعاً نظرياً ،
ومع ذلك فقد حاولت قدر الاستطاعة - أن أعطي أمثلة لغوية متعددة تجسّد
الأفكار النظرية المطروحة ولقد كانت مُحاولَة التمثيل من واقع العربية
المصبيحة لها الصُّدْرة في هذا الصُّدَد

ومع الإدراك الكامل بأن هذه الأمثلة العربية ليست كافية في إعطاء صورة
دقيقة لما يمكن أن سمي « منطوق العربية » ، أو « رؤيتها الكلية » التي تحمل في
طياتها منطق السُّق الثقافي العربي ، و رؤيته في إدراك الحياة والكون ؛ فإنه
فضلاً عن أن المشروع البديل ، وهو إقامة دراسة شاملة ومُستَقْصِيَّة لجوانب

هذا المنطق ، كان سيخرج بالبحث عن إطار هده - فإن الكثير من جوانب هذا المشروع لا تزال بحاجة إلى إلمام لإقامة تصوّرات واضحة

وإذا كنت قد أشرت في طيّات البحث إلى مقولة الألماني « فيشر » التي انتهى إليها من دراسة الألوان في الشعر العربي القديم ، وهي أن العربية تكشف عن « منطق تدرّجي » ، وليس منطقاً ثنائياً ، فإن الاستقراء الأوّلي يشير إلى ما يدعم هذه المقولة - وأحسب أن هذه المقولة يمكن أن تفسّر ما نجده في معجم العربية من مفردات تتدرج مع كل اختلاف دلالي يطرأ على الظاهرة المدركة أيّا كان حجم هذا الاختلاف ، وأيّاً كان حجم الظاهرة - قد « الدّر » : صبحار المثل ، والذي أكرم به - قارر ، والذي أكرم به - عفيفان ^(١) (لاحظ قولهم إن الدر - مئة مهازنة حنة شعير ^(٢))

كذلك يمكن أن تفسّر هذه المقولة شيوع صيغة « أفعل التفصيل » في المثل العربي - وهي صيغة تنفرد بها العربية دون أخواتها الساميات ^(٣) ولعل تلك الصيغة تؤكد هذه النظرة التدرّجية من خلال جرّصها على ذكر « الأصل » الذي يقاس عليه - فعندما يقال - مثلاً - (أبصر من عفت) يصح « العفت » هو النموذج الأصلي لحدة البصر ، فيقاس عليه بعد ذلك كل من يشركه في هذه الصفة .

وإذا أخذنا بذلك التواري القائم بين آلية الاشتقاق - وهي الآلية الأساسية في طريقة بناء العربية لمفرداتها - وآلية التكبير « السّني » الذي طمى على اهتمام العربي فلم يقف عند المجال الإنساني ، وإنما تعدّاه إلى المجال الحيواني - فإن مقوله « المنطق التدرّجي » تكتسب مزيداً من الدعم فالاشتقاق والسبب يصيآن معاً في مفهوم « المنطق التدرّجي » لأنهما يذكران بالأصل الذي

« تتناسل » منه « العروع » ، وهي العروع التي لا تكتسب « شرعيتها » إلا بوجود « الصلة » ، أو « المناسبة » ، أو « التناصب » ، بينها وبين الأصل ؛ ومن هنا فقد اتسم صنوع الأفعال والأسماء في العربية بخاصية « التسميط » ، وهي تلك الخاصية التي أطلق عليها عالم الساميات دياكوفوف « نرعة التخطيط الهندسي » geometric schematization ويمكن أن يلمس هذه الخاصية - بوضوح - فيما أسماء اللغويون العرب يد « أمثلة الاسم » و « أمثلة الفعل » وربما كان مصطلح « الأمثلة » ذا معنى « المادج » التي تتوالد على قياسها « الأشياء والظواهر »

وإذا كانت الأشكال الفنية - كما يقول إرست فيشر^(٧) - ليست مجرد أشكال تابعة من الوعي العردي ، يحددها السَّمْع أو البَصَر ، وإنما هي - أيضاً - تعبير عن نظرة إلى العالم يحددها المجتمع ، فإن مقولة « المطلق التدرُّجي » يمكنها أخيراً - وليس آخرًا - أن تعمّر طريقة إنشاء القصيدة العربية التقليدية التي تبدأ بوحدة تظل « تنسل » شبيهها المطابق في مداه الرَّمْسي الإيقاعي ، وفي نقطة الوقوف المتكررة (القافية) التابعة ، ولاحظ صلة ذلك باقتضاء الأثر) وكذلك يمكن أن تعمّر قيام الموسيقى العربية على « نغمة واحدة منكروزة »^(٨) ، وقيام « الأرايسك » على تكرار الوحدات الشكْلِيَّة نفسها

إن كل هذه الجواب وغيرها لا تزال بحاجة إلى مزيد من الاستقصاء في مشروع دراسة شاملة

وعلى أية حال فإن ثمة عددًا من النتائج التي يمكن للباحث أن يرغم استخلاصها من خلال هذا البحث وذلك ما يمكن إيجازه على النحو

التالي .

أولاً - إن فرضية النسبية اللغوية لا يسعى أن يُنظر إليها على أنها موقف بركري ثابت محدّد المعالم ، بل هي فرضية متطورة خصصت في حركة الفكر اللغوي الحديث لعدد من محاولات التعديل والتطوير ؛ ومن ثم فإن محاولة تطبيقها على مجالات من العلاقة بين اللغة العربية والثقافة العربية يلزم أن تأخذ في الحسبان هذه التطويرات والتعديلات

ثانياً - إن فرضية النسبية اللغوية عند وورف نظرت إلى اللغة على أنها أمر متعال ، ومن ثم اعتبرت هي المشكلة لأنماط المعرفة والفكر ورؤية العالم عموماً . ولقد كانت تلك هي نقطة الضعف الأساسية في صياغة وورف للفرضية . ومن هنا فإن النقد الذي وجه إلى هذه الصياغة كان منصّاً على هذه النقطة . وكان من أهم التعديلات التي أدخلت في هذا السياق ضرورة النظر إلى اللغة على أنها عنصر مهم من عناصر التجربة الإنسانية ، تؤثر في عملية التشيئة الاجتماعية ، وفي طريقة بناء النمط الثقافي لعلاقاته ، وقيمه ، ومؤسساته ، وطقوسه ، ولكنها - في الوقت نفسه - تحضن ظروف تطور هذا النمط ، فتظل في حالة قابلة للتشكّل عن طريق عمليتي الحذف والإضافة . ولقد كان هذا التطوير مائلاً في فكرة « العلاقة الوظيفية المتبادلة بين اللغة والثقافة » عند هوبنجر ، وفكرة « التأثير العيني المتبادل » عند برشتين

ثالثاً : قدمت البحوث التي حاولت التدليل على صلتق فرضية النسبية اللغوية أو بطلانها إسهامات وصفيّة غريزة لأنماط متباينة من التوهمات اللغوية . ولقد ساعد ذلك على تطوير فرضية النسبية فالكشف عن

المجتمعات ذات التعدُّد اللُّغوي multilingual ، والكشف عن كميّات التغيُّر اللُّغوي ، والاختلاط الثقافي ، كل ذلك كان له دور في إعطاء السِّيق الثقافي أهميته اللازمة دون الاقتصار على العامل اللُّغوي وحده . ولقد تمثل ذلك في مفهوم « السِّية الاجتماعية اللُّغوية » عند ديل هايمس

رابعًا - كانت نظرية « المجالات الدلالية » من أبرز جواوب الوصف اللُّغوي التي أفادها البحث من منظور السِّية اللُّغوية ؛ و من ثم فقد وجدت بحوث موسَّعة حول مجالات مثل « أَلِفاظ الألوان » ، و « أَلِفاظ القرابة » ، و « أَلِفاظ الباب » ، و « أَلِفاظ المكان » ، و « أَلِفاظ الطعام » إلخ . وكان ذلك من أجل وضع تحليلات تقابلية بين اللُّغات المختلفة ، والكشف عن تماثلاتها ، أو اشتراكها ، في تجسيد العلاقات الاجتماعية ، والظواهر الإدراكية

خامسًا - لقد أسهم البحث في فرضية السِّية في تطوير « التَرْجُمة » و من ثم أصبح هناك تركيز واضح على ضرورة مَعْرِفَةِ الجواوب الاجتماعية والثقافية في دلالات الأَلِفاظ والتراكيب في اللُّغة التي يراد الترجمة عنها . وفي هذا السِّاق تحيى دعوة أوحى بيد إلى ضرورة الرِّبط بين عِلْمِ الدِّغة الوَصْفي والإثنولوجيا عند تمييز التَرْجُمة بين لُغات تنتمي إلى أطر ثقافية مُتعايرة

ويعد

فإني أرحو الله العليّ القدير أن يكون هذا البحث قد اقترب من تحقيق الهدف منه ، وأن يكون نافعًا ومفيدًا

الهوامش

مقدمة

(١) حول هذه النظرية وتطورها انظر Arens, H. *Aristotle's Theory of Language and its Tradition*.

(٢) *Ibid.*, p. 21

(٣) انظر تقديم ستيفورت تشير لكتاب Carroll, J. *Language, Thought and Reality*, *Selected Writings of B. L. Whorf*.

والكتاب يصم مجموعه من بحوث « بنجامين بي وورف » وقد اعتمدت عليه في استخلاص آراء وورف وللمزيد من التفصيل حول حياة وورف ، ونظور فكره ، يمكن الرجوع إلى المقدمة الصافية التي وصمها جون كارول لهذا الكتاب وسنرد تبنة عن وورف في موضع قديم من هذا البحث

(٤) أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة ج ١ ، ص ١١٠

(٥) المصدر السابق ج ١ ، ص ١١١

(٦) كندرانوف لأصوات والإشارات ، ترجمة شوقي جلال ، ١٩٧٢ ، ص ٧٨

(٧) Bolinger, D. *Aspects of Language* 1975, p. 241

(٨) Hörmann, H. *Psycholinguistics* 1971 p. 321 وما بين القوسين ترجمة لهامش هذه الصفحة

(٩) Bertalanffy, L. *General System Theory*. 1968, p. 218

(١٠) أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة ج ١ ، ص ١١٢

(١١) المصدر السابق ج ١ ، ص ١١٢

(١٢) المصدر السابق ج ١ ، ص ١١٣

(١٣) المصدر السابق ج ١ ، ص ١١٥ ١١٦

(١٤) المصدر السابق ج ١ ، ص ١١٢

(١٥) المصدر السابق ج ١ ، ص ١١٢

الفصل الأول

Carroll, J. *Language, Thought and Reality; Selected Writings of B. L.* (١)

Whorf 1956. p. 76. وانظر عرض وورف لأراء هذا الخوري في الصفحات ٧٤ -

٧٦

ويلاحظ هنا أن الاهتمام باللغة العتريه بوصفها لغة « العهد القديم » قد لعب النظر إلى سق لُعوي آخر ، وهو السق السامي الذي يختلف عن سق اللغات الأوربية

المنطوقة انظر Jespersen, O. *Language* 1969 p. 21

Carroll, J. *Language, Thought and Reality; Selected Writings of B. L.* (٢)

Whorf. 1956. p. 76.

Ibid., pp. 76-77 (٣)

Brown, R. *Wilhelm Von Humboldt's Conception of* انظر هذه العبارات في

Linguistic Relativity. 1967 pp. 63-64.

Ibid , p. 75 (٥)

Land, S. *From Signs to Propositions*. 1974. pp. 70-72. (٦) انظر

Jespersen, O. *Language* 1969. p. 29 (٧)

Robins, R.. *A Short History of Linguistics*. 1979 p. 174 (٨) ويذهب جود

Brown, R. *Wilhelm* انظر البيوية

Von Humboldt's Conception of Linguistic Relativity 1967 p. 113

(٩) في نظريه همبولت اللعوية انظر Brown, R. *Ibid.*

Ibid p 175 (١٠)

Hörmann, H. *Psycholinguistics*. 1971 p. 301 (١١)

Robins, R. *A Short History of Linguistics* 1979. p. 175 (١٢)

- (١٣) Brown, R. *Wilhelm Von Humboldt's* Op cit p. 175. وانظر
Conception of Linguistic Relativity 1967 p. 94.
- (١٤) Jespersen, O. *Language*. 1969 p. 57
- (١٥) Op. cit., p. 57
- (١٦) Brown, R.. *Wilhelm Von Humboldt's Conception of Linguistic Relativity* (١٦)
1967 p. 80.
- (١٧) *Ibid.*, p. 68.
- (١٨) Robins, R. *A Short History of Linguistics*. 1979 p. 176. ونجد الإشارة هنا
إلى أن فكره همبولت تلك قد أعيد بحثها مرة أخرى في العشرينات من قروننا الحالي
من خلال ما أسماه هوجو ستيجر « الشكل الألماني من السيوية » ، وكذلك من
خلال الحركة اللاحقة التي سُميت بـ *Inhaltsbezogene Grammatik* ، والتي كان
لها تأثيرها القوي في ألمانيا عقب عام ١٩٤٥ ، ومن بين أهم مروضها فكرة أن بناء
الفكر ومن ثم العلاقة الكلية بالعالم *Weltbild* - محكوم دائماً بالبناء الخاص
للغات انظر Sebeok, T.. *Current Trends in Linguistics*. 1972 p. 1302.
- (١٩) Brown, R. *Wilhelm Von Humboldt's Conception of Linguistic Relativity* (١٩)
1967 p. 107
- (٢٠) Bach, E. & Harms, R. (eds.): *Universals in Linguistics* 1968. p. 122
- (٢١) انظر في تطور هذا الخط في كتابات همبولت الفصل السابع من كتاب
Wilhelm Von Humboldt's Conception of Linguistic Relativity. 1967
- (٢٢) Hymes, D (ed.): *Language in Culture and Society* 1964. p. 7
- (٢٣) Penn, J. *Linguistic Relativity Versus Innate Ideas*. 1972. p. 54.
- (٢٤) لمن مما يوصف بتعريف وورف لعمل بواس قويه « إن معالجات بواس تعتمد
الأسلوب العلمي للمرة الأولى في التاريخ » انظر Carroll, J (ed): *Language*
Thought and Reality 1956 p. 78.
- (٢٥) Boas, F.. (Introduction to) *Handbook of American Indian Languages*. (٢٥)
1967 p. 175 in: Hayden, D et al (eds.): *Classics in Linguistics*

- (٢٦) *Ibid.*, p. 176.
- (٢٧) *Ibid.* p. 176.
- (٢٨) «نظر للمريد من التفصيل حول هذا المفهوم» حسين فهمي قصة الأنثروبولوجيا ١٩٨٦ ص ١٦١ - ١٦٢
- (٢٩) Boas, F. *Introduction to Handbook of American Indian Languages* (٢٩) 1967 p. 214 in Hayden, D. et al (eds.) *Classics in Linguistics*.
- (٣٠) «نظر ابن سبويه المختصر» شعر ٩، ص ١٣٠
- (٣١) Boas, F. *Introduction to Handbook of American Indian Languages* (٣١) 1967 p. 177 in: Hayden, D. et al (eds.), *Classics in Linguistics*.
- (٣٢) *Ibid.* p. 177
- (٣٣) *Ibid.* pp. 187-194.
- (٣٤) *Ibid.*, p. 218.
- (٣٥) Hymes, D. (ed.) *Language in Culture and Society*. 1964 p. 10.
- (٣٦) *Ibid.*, p. 142.
- (٣٧) Chomsky, P. (ed.) *Language and Social Context* 1972 p. 10.
- (٣٨) Hymes, D. (ed.) *Language in Culture and Society*. 1964. p. 119
- (٣٩) *Ibid.* p. 19
- (٤٠) Sapir, E. *Language; An Introduction to the Study of Speech*. 1970 p. 215.
- (٤١) *Ibid.*, p. 219
- (٤٢) *Ibid.*, 217
- (٤٣) *Ibid.*, p. 216.
- (٤٤) *Ibid.* p. 215
- (٤٥) *Ibid.*, 219

الفصل الثاني

(١) انظر حسين فهم قصة الأنثروبولوجيا ١٩٨٦ ص ١٣٥ ١٣٧ وحول صدى هذه الأفكار في الفكر اللغوي يمكن الرجوع إلى Jespersen, O., *Language* pp. 426-431, 1969 ، حيث يقدم يسيروس أمثلة لا تُصغى بالتقص في اللغات البدائية - أو الهمجية savage على حد تعبيره - في التعبير عن المجردات ، ولا مثلاً لها بواحي شذوذ

(٢) حسين فهم قصة الأنثروبولوجيا ١٩٨٦ ص ١٣٧ وانظر نقد ليفي شراوس لهذه الفكرة معالات في لإبانه ١٩٨٢ ص ١٧٩ وما بعده

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٢

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦٣

(٥) ولد بجامبي في وورف Benjamin Lee Whorf في ويشروب بولاية ماساتشوسس بالولايات المتحدة ، في ٢٤ من إبريل سنة ١٨٩٧ ، وتوفي في ٢٦ من يونيو سنة ١٩٤١ وبعد أن حصل على شهادة بكالوريوس العلوم في الهندسة الكيميائية من معهد ماساتشوسس التقني [MIT] عام ١٩١٨ ، التحق بشركة هارتمورد للتأمين ضد الحرائق ، وظل في هذه الشركة بقية حياته ، وأصبح خبيراً في الوقيع من الحرائق غير أن ذلك العمل لم يشغله عن تعميق اهتماماته اللغوية (ويحاصه دراسة لغات مثل الهوية ، إحدى لغات الهودونغر وعبرية الكتاب المقدس والملاييه ، والأرمينية في أمريكا الوسطى) وهذه الاهتمامات قادت إلى التراسه مع ساير في جامعة يال سنة ١٩٣١ لتتبع من التعصيل انظر مقدمه جون كارول في كتاب الذي جمع فيه دراسات وورف *Language Thought and Reality*, 1956.

(٦) *Ibid.* pp. 79-80.

(٧) *Ibid.* p. 80

(٨) ليفي شراوس الفكر نيري ترجمة نظير جاهل ١٩٨٤ ص ٦٦

(٩) نسيوطي المهر ح ١ ، ص ٤٤٧ وثمة روايات أخرى يسوقها النسيوطي لفكره معها ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ - ٤٤٩ وانظر كذلك الثعالي في اللغة وسر العربيه ،

ص ١٠٨ ، حيث يعدّ فصلاً في تقسيم الآثار التي على اليد ، ويسنّله بقوله
 « هذا من واسع المجال ، فما [أعتمد أنها] روي عن المرء وابن الأعرابي
 واللحياني وغيرهم من قولهم يدي من كذا فعله ، ثم راد الناس عليه أفعالاً
 كثيرة » ثم يورد عشرين مفرقة يختلف بعضها عما ورد لدى السيوطي

(١٠) التوكّد الدسم من اللّخم والشّخم

(١١) النّفس المداد الذي يكتب به

(١٢) التّويق الناعم من دقيق خنطة والشّعير

(١٣) البرّ كل حب ينثر

(١٤) الأشبان (جمع ش) القرية القديمة الصغيرة

(١٥) المرصّاد صبيح أحمر

(١٦) الكامح أدام يؤتدّم به وخمته بعضهم بالمحلات

(١٧) الصّخاء السمك الصغير المملوح

(١٨) الحنّظ صرب من الشّجر (الأراك) له ثمريوكل

(١٩) Carroll, J. (ed.). *Language, Thought and Reality* 1956. p. 74.

(٢٠) يلاحظ هنا أن هذه العبارة سيّداً تأكلها من قبل نوام تشومسكي : حيث يجد ذلك

واضحاً في كتابه « اللغة والعقل » Chomsky, N. *Language and Mind*. 1972.

p. 99 غير أن ثمة اختلافاً جوهرياً بين وورف وتشومسكي في هذه النقطة فهي

حين يسعى وورف إلى إسهام علم اللغة في الكشف عن الخصوصة النّفسية لكل

مجتمع مُعيّن ، فإن تشومسكي يسعى إلى إسهام علم اللغة في الكشف عن القُدّرات

المعطّية التي تُعبر جوهر اللغة الإنسانية ، وبالتالي الكشف عن العموميات النّوعية

(٢١) Carroll, J. (ed.). *Language, Thought and Reality*. 1956. p. 73 وانظر مقالة

وورف في الكتاب نفسه « في علم النفس » ص ٤٠

Ibid., p. 73 (٢٢)

Ibid. p. 73. (٢٣)

Blackburn, S., *Spreading the Words*. 1984. p. 3. (٢٤)

- (٢٥) Slobin, D., *Psycholinguistics*. 1971 p. 122.
- (٢٦) Carroll, J (ed.): *Language, Thought and Reality* 1956 p. 23.
- (٢٧) *Ibid.*, p. 23.
- (٢٨) Boas, F (Introduction to) *Handbook of American Indian Languages* pp. 218-219
- (٢٩) Carroll, J (ed.): *Language, Thought and Reality*. 1956. p. 221.
- (٣٠) انظر Hörmann, H *Psycholinguistics*. 1971, p. 310. وانظر كذلك
- Slobin, D., *Psycholinguistics* , 1971 p. 121
- (٣١) Carroll, J (ed.): *Language, Thought and Reality*. 1956. p. 156.
- (٣٢) دو سوسير -روس في الأنسية العامة ، ترجمة صالح القرمادي وآخرين ١٩٨٥ ، ص ٣٤
- (٣٣) المرجع السابق ، ص ٢٧
- (٣٤) Carroll, J. (ed.) *Language, Thought and Reality* 1956. p. 212
- (٣٥) *Ibid.* , p. 213.
- (٣٦) انظر ملاحظة ريكور تلك في Parkin, D (ed). *Semantic Anthropology* 1982 p. 48.
- (٣٧) Carroll, J. (ed.) *Language, Thought and Reality* 1956 p. 55.
- (٣٨) *Ibid.* p. 213
- (٣٩) *Ibid.* p. 148.
- (٤٠) *Ibid.* , p. 158.
- (٤١) من الشائيق المناد أن مُفردة « الماضي » تدل على « البعد » و « القطع » و « الإحار » و « الماضي » ، « الأسد والسيف » ومصى في الأمر « بعد » ومصى السيف « قطع » وأسماء أفعاله : وأمصيت يعني أجرته انظر مادة « مصى » في القاموس المحيط لمعروف أبيادي
- (٤٢) حتى الحالات التي يعبر عنها بصيغ فعلية عتبرت عند النحاة العرب أحداثاً وهذا ما يكشف عنه تعريف سيويه للفعل « أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء »

الكتاب ، ح ١ ، ص ١٢

(٤٣) انظر Hymes, D (ed.): *Language in Culture and Society* 1964. p 102

(٤٤) Palmer F *Grammar* 1971 p 193.

(٤٥) لمريس الفقه ، ترجمة عبد الحميد الدوحلي ومحمد القصاص ، ١٩٥٠ ص ١٣٥

(٤٦) Carroll, J (ed.): *Language, Thought and Reality*. 1956. p 162

(٤٧) انظر بير كاكا العريف ؛ معجم في مصطلحات النحو العربي ١٩٨٦ ص ٥٩

(٤٨) المرجع السابق ، ص ٧٨

(٤٩) المرجع السابق ، ص ١٦ (٥٠) المرجع السابق ، ص ١٦

(٥١) المرجع السابق ص ٥٦ (٥٢) المرجع السابق ، ص ٥٣

(٥٣) Versteegh, C *Greek Elements in Arabic Linguistic*. ١٩٧٧ pp. 84-87

(٥٤) *Ibid.*, pp. 84, 85, 86. وانظر هامش 3. في صفحة X

(٥٥) بير كاكا العريف ؛ معجم في مصطلحات النحو العربي ١٩٨٦ ص ٥٣

(٥٦) Nida E. *Linguistic and Ethnology in Translation Problems*. p. 199 m

Hymes, D (ed.): *Componential Analysis of Meaning*. 1975

(٥٧) انظر Carroll, J *Language, Thought and Reality* 1956.p 57

(٥٨) انظر Bertalanffy, L. *General System Theory* 1968. p. 236.

(٥٩) Carroll, J *Language, Thought and Reality* 1956. p. 215

(٦٠) *Ibid* p. 216

(٦١) *Ibid* , pp. 134-159

(٦٢) *Ibid.*, p. 57

الفصل الثالث

١ - انظر Penn, J *Linguistic Relativity Versus Innate Ideas*. 1972. p. 13

٢ - انظر معالته *Cultural Implications of Some Navaho Linguistic Categories*.

Hymes, D (ed.) *Language in Culture and Society* 1964 p. 145.

Ibid. p. 145 (٣)

Ibid., p. 146. (٤)

Ibid. , p. 146. (٥)

Ibid. , p. 148. (٦)

(٧) يشع هذا التعبير عند الحديث عن المحو التحويلي، انظر مثلاً في بيومير ،

Harman, G (ed.): *On Noam Chomsky*, ١٩٨٧ وانظر مقاله حول سير في

Critical Essays 1982. pp 2-33.

(٨) انظر محيي الدين محسب نظرية اللغة بين الأساس البيولوجي والنظرية
اللسانية ، ص ٥٥ وما بعدها

Lado, R. *Linguistics Across Cultures*. 1968. p. 116, n. 4. (٩) عن

Hymes, D (ed.) *Language in Culture and Society* 1964 p. 145. (١٠) في

Ibid., p. 154. (١١)

Ibid. , pp. 154-155 (١٢)

Ibid. , p. 156. (١٣)

Mathiot, M. *The Semantic and Cognitive Domains of Language* (١٤)

pp. 249-276. in Garvin, P (ed.): *Cognition, A Multiple View* 1970.

Ibid., p. 275. (١٥)

(١٦) فيشر ، ديتريش التعبير عن اللون في الشعر العربي القديم ١٩٨٢ ، ص ١٥

Carroll, J (ed.) *Language, Thought and Reality*. 1956. p 28 (١٧)

(١٨) أحمد أبو زيد حصار اللغة ١٩٨٤ ص ٣٠

Werner, O *Cultural Knowledge, Language and World View* انظر (١٩)

pp. 163-165 in Garvin, P (ed.): *Cognition, A Multiple View* 1970

(٢٠) ينقي ليسرج وتشومسكي في القول بالأساس البيطري لعمه (انظر محيي الدين

محسب نظرية اللغة (١٩٩٢) ومما تجدر ملاحظته هنا أن عددًا من الاستدلالات التي يقنعنا بها في هذا السياق تكاد تُطابق ما جاء به العالم البكولوجي وليم شيرن W Stern مد ١٩٠٤ انظر تحليل آراء شيرن في فيجوتسكي التفكير واللغة ، ترجمة طلعت منصور ١٩٧٦ ص ١١٨ - ١٢٩

(٢١) Lenneberg, E. *Biological Foundation of Language* 1967 p. 331

(٢٢) *Ibid.*, p. 332

(٢٣) *Ibid.*, p. 331

(٢٤) *Ibid.*, p. 356.

(٢٥) *Ibid.*, p. 356. وتجدر الإشارة هنا إلى أن فكرة « البرور » تلك يطلق عليها أحياناً مصطلح « مبدأ وثيقة الصلة » principle of relevance ، ويعني أنه كلما كانت الظواهر وثيقة الصلة باهتمام مجتمع ما ، أو جماعة ما ، من الناحية النفسية ، أو الاجتماعية ، فإنها تتجسد لغوياً بشكل أكثر من تجسيد الظواهر الأقل وثيقة

للمعريد من التفصيل انظر Ballmer, T & Brennenstuhl, W *Lexical Analysis and Language Theory*. 1981 p. 430

(٢٦) عن أحمد أبو زيد حاضرة اللغة ١٩٨٤ ص ٢٥

(٢٧) يعد إدخال فكرة النسق البيوي في تعريف « الثقافة » من أهم الإضافات التي جددت في حقل الأنثروبولوجيا الثقافية في مرحلة ما بعد الأربعين الأول من القرن العشرين

انظر Lado, R. *Linguistics Across Cultures*. 1968. p. 111

(٢٨) Lenneberg, E. *Biological Foundations of Language* 1967 p. 364

(٢٩) *Ibid.*, p. 364.

(٣٠) *Ibid.*, p. 365.

(٣١) Lenneberg, E. (ed.): *New Directions in The Study of Language* . 1964. p. 78.

78.

(٣٢) Lenneberg, E *Biological Foundations of Language* 1967 p. 375.

(٣٣) *Ibid.*, p. 377

- (٣٤) *Ibid.*, p. 377
- (٣٥) انظر Comrie, B. *Language Universals and Linguistic Typology*. 1981 p ٦-8 وانظر بصيغة خاصة ص ٢١٩
- (٣٦) انظر ابن منظور لسان العرب ، مادة [أبو]
- (٣٧) أبو هلال العسكري العروق في اللغة ص ٢٧٦
- (٣٨) بردها المودح الإدراكي عبد محمد عاليم التوليد اندلالي في البلاغة والمعجم ١٩٨٧ ص ٩٤ - في سياق حديثه عن « البنية التصورية والمادج المعرفية » التي تحددها عوامل نفسية وثقافة مرتبطة بالتجربة
- (٣٩) انظر Lehrer, A. *Semantic Fields and Lexical Structure* , ١974. p 124.
- (٤٠) الفيروز آبادي العاموس المصط ، مادة [طال] .
- (٤١) Lehrer, A. *Semantic Fields and Lexical Structure* 1974. p. 124.
- (٤٢) يقول الثعالبي في كتابه فقه اللغة وسر العربية ، ص ٦٣ « رجل طويل ، ثم طوال ، فإذا زاد في الطول فهو شؤدب ، وشؤقت فإذا دخل في حد ما يَدَم من الطول فهو عشط ، وعشوق فإذا أفرط طوله وبع النهاية فهو شغلغ ، وعشط ، وسعطري
- (٤٣) Lehrer A. *Semantic Fields and Lexical Structure* , ١974 p. 166.
- (٤٤) *Ibid.*, p. 166
- (٤٥) الثعالبي فقه اللغة وسر العربية ، ص ٢٦٤ ولعل مما يلاحظ هنا أن الثعالبي في تناوله للأطعمة والأشربة لم يورد ما يدل على عناية العربية بالتجسد المعنوي المختلف باختلاف شكل المأكول ، بل يسوق ملاحظة لها مغراها في توحيد العربية للقالب الصبي لذي يدل على « أطعمة العرب » يقول « حلّ أطعمة العرب ، بل كلها على المعيلة ، ولا شك أن « معيلة » هنا بمعنى « معوله » وكأن النظر هنا يركز على أن الطعام شيء قابل للحصول الفعل فيه وإذا صح ما يقوله دياكونوف من أن ما يسمى بـ « تاء التأنيث » لم تكن فقط علامة تأنيث أسماء الكائنات الحية المؤنثة ، بل أيضاً علامة في الأسماء الذكورية على المسميات السلبية من الناحية الاجتماعية ، أو التي يكون هدفاً للمعل (انظر Diakonoff, I. M. *Semito-Hamitic Languages*

1965. p. 56, 73 أقول إذا صح ذلك فإن وجود « التاء » في ألحظ الأظعمة التي ذكرها الثعالبي يؤكد تلك النظر ، حيث قابلية الطعام لأن يكون هدفًا للعمل

Hymes. D. *Toward Ethnographies of Communication, The Analysis of Communicative Events* p 27 (٤٦)

Bertalanffy, L. *General System Theory* 1968 p. 240. (٤٧) انظر

Ibid., p. 240. (٤٨) وانظر الصفحات التالية بهذا الموضع حيث تعصيلات علمية كثيرة

Cooper, D. *Philosophy and the Nature of Language* 1973. p. 102. (٤٩)

Ibid , p. 103 (٥٠)

Kim, Kong On *Sound Symbolism in Korean* 1977 p 74. (٥١)

Jespersen, O *Language* , 1969. p. 396. (٥٢) انظر

Ibid , p 398 (٥٣)

(٥٤) السيوطي الأسماء والنظائر ج ٢ ، ص ٢١٦

(٥٥) يقول جون أوهاالا J. Ohala المتخصص في علم اللغة النفسي : « من الواضح أن مخ المتكلم لديه خبرة طويلة بالمرج الصوتي وإمكاناته ويمكن أن يفترض أن المخ يمتلك نوعًا من الصورة الذهنية لهذا المخرج ؛ أي لمختلف الأغصان التي تقوم بالنظر من جهة ارتباطاتها ، والعصلات التي تعينها إلخ ومن خلال ذلك فإن المخ يستطيع بلا شك أن يحسب كيف له أن يحقق أهدافه ؛ أي إعادة إنتاج الصورة المعجمية للكلمة في صوة إمكانات هذا المخرج وحده ونحن لا نعرف على وجه الدقة والتأكيد ماهية هذه الصورة الذهنية المعجمية هل هي تمثيلات عصبية ؟ أو أشكال من المخرج الصوتي ؟ أو حالات حركته هوائية (إيرودينامية) ؟ أو أشكال سمعية فيزيائية ؟ أو هي كل ذلك معًا ؟ وعلى الرغم من ذلك فلا بد أن يفترض أن المتكلم يعرف كيف يصيد جهاز إصدار الكلام لكي يخرج هذه الصورة الذهنية » انظر بحث أوهاالا « الحدود النطقية للتشكيل العرقي للكلام » في Myers, T (eds.): *The Cognitive Representation of Speech* 1981 p. 114.

Bourger, D *Aspects of Language* 1975. p. 149 (٥٦)

Ibid. p 149 (٥٧)

Mathiot, M. *The Semantic and Cognitive Domains of Language* 1970. (٥٨)
pp. 260-261

(٥٩) الثعالبي لغة اللغة وسر العربية ، ص ٦٢

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٦٣ (٦١) المصدر السابق ، ص ٦٨

(٦٢) المصدر السابق ، ص ٦٩ (٦٣) المصدر السابق ، ص ٨٢

(٦٤) المصدر السابق ، ص ٨٢ (٦٥) المصدر السابق ، ص ٨٧

(٦٦) المصدر السابق ، ص ٨٨

Berezin, F M. *Lectures on Linguistics* 1969 p 94 (٦٧)

Hörmann, H. *Psycholinguistics*. 1971 pp. 225-229 (٦٨) انظر

Op cit (٦٩)

French, P. *Toward an Explanation of Phonetic Symbolism* 1977 p.(٧٠)
321

Cooper D. *Philosophy and the Nature of Language* 1973 (٧١)

(٧٢) بطبيعة الحال فإن عدم التواري بين اللغات قائم على المستوى الصوتي - وبخاصة تلك الظواهر التي تُسهم في تشكيل المعنى كالتهجيم مثلاً - وعلى المستوى التركيبي ويمكنني أن أشرت هنا أن أخصر الحديث عن المستوى المعجمي ، حيث الاعتقاد بأنه « أقل صعوبة بدرجة كبيرة » من تقديم النظام النحوي بلغة ما بلغة أخرى انظر كلود هاجس الترجمة وعالم اللغة ولقاء النماذج ، ترجمه أحمد عمر شاهين ١٩٨٨ ص ٣٤ ومع ذلك فإن الاستدلال بهذا المستوى المعجمي يقدم دعماً له مسوعه بمرصية السببية اللغوية

Greenberg, J. *Language Universals*. 1966 p. 52 (٧٣)

(٧٤) الثعالبي لغة اللغة وسر العربية ، ص ٧٤

(٧٥) المصدر السابق ، ص ٧٩

(٧٦) انظر قائمة موريس سواديش M. Swadesh التي تحتوي على مائة كلمة يرى أن كل اللغات الإنشائية تعبر عنها بالعاط مستقلة وهذه القائمة ترد في

Miller, G. *Language and Speech*. 1981 p. 100

(٧٧) يشير شارلر بيرلتر إلى أن « الشمس » هي معظم اللغات مذكّرة - انظر

Berlitz, Ch. *Native Tongues*. 1982. p. 53

ويشير ليفي شتراوس في كتابه « الفكر البري » والتوليد الدلالي في البلاغة ، المعجم إلى أن بعض « شعوب أمريكا الشمالية يرى في الشمس أباً محسباً ، وبعضها [يراها] متحاً مفترساً ينتهم لحم البشر ويعطش إلى دمائهم » (وما بين الموسمين من وضع الباحث)

(٧٨) كنود هاكيچ الترجمة وعالم اللغة ونقد الثقافات ، ترجمه أحمد عمر شاهين ١٩٨٨ ، ص ٣٥

(٧٩) Nida, E. "Linguistics and Ethnology in Translation Problems" in Hymes, D. (ed.) *Language in Culture and Society*. 1964. pp. 96- 97

(٨٠) هذه هي النتيجة التي خرج بها جوريف شريم في كتابه « منهجية الترجمة التطبيقية » ١٩٨٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ من تحليل المفهوم العربي والمفهوم الغربي

(٨١) Nida, E. *Componential Analysis of Meaning* 1975 p. 36.

(٨٢) Newman, S. *Linguistic Aspects of Yokuts Style*. in Hymes, D. (ed.): *Language in Culture and Society* 1964. p. 372.

(٨٣) انظر نموذجاً تطبيقياً بين العربية والفرنسية في كتاب جوريف شريم « منهجية الترجمة التطبيقية » ١٩٨٢

(٨٤) Cooper D. *Philosophy and the Nature of Language* 1973. p. 117

(٨٥) Hörmann, H. *Psycholinguistics*. 1971 p. 210. انظر

(٨٦) *Ibid*, p. 314.

(٨٧) *Ibid*. p. 314.

(٨٨) صحاحه هذا العدد لا ينفيها كون هذه المفردات قد جُمِعت من لهجات عربية متعدّدة . فمفهوم يكن من أمر عدد هذه اللهجات فإن نسبة عدد هذه المفردات (ما يعرف من ستة آلاف) إلى عدد هذه القبائل تظلُّ نسبة دالة

وإذا أخذنا بعدد القبائل التي يُقال إن اللغة أخذت عنها - وهو ست قبائل فإن
لافراس الرُّياصي يؤدي إلى أن كل قبيلة تتحدث ما يعرف من ألف مفردة ١

Hörmann, H. *Psycholinguistics*. 1971 p ٣23 (٨٩)

Jackson, H. *Words and Their Meaning* ١988. p. 81 (٩٠) انظر مثلاً

Nida, E. *Componential Analysis of Meaning* 1975. p 33

(٩١) الثعالبي - فقه اللغة وسر العربية ، ص ٩٠

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٩١

(٩٣) المصدر السابق ، ص ١٦٧

(٩٤) المصدر السابق ص ١٦٨

(٩٥) المصدر السابق ص ١٦٨

Cooper, D. *Philosophy and the Nature of Language* 1973. p. 108. (٩٦)

Trudgil, P. *Sociolinguistics*. 1974 p 27 (٩٧)

Ibid , p. 28. (٩٨)

Lyons, J. *Semantics*. 1977 Vol I, p. 303 (٩٩)

Ullmann, S. *Semantics* 1962. p. 247 (١٠٠) انظر كلا من

Crystal, D. *The Cambridge Encyclopedia of Language* 1987 p. 106. و

(١٠١) انظر لمراجعين السابقين ، الأول ص ٢٤٨ ، والثاني ص ١٠٦

(١٠٢) انظر لمراجعين السابقين في الموضوعين اشارة إليهما

Hörmann, H. *Psycholinguistics* 1971 p 319 (١٠٣)

Ibid , p. 320. (١٠٤)

Ibid , p. 320. (١٠٥)

Penn, J. *Linguistic Relativity Versus Innate Ideas*. 1972 p. ١6. (١٠٦) انظر

Ibid , p 17 (١٠٧)

Hörmann, H. *Psycholinguistics*. 1971 p ٣22 (١٠٨) انظر

- (١٠٩) Bolha, R. *The Conduct of Linguistic Inquiry* 1981 p 341
- (١١٠) Comrie, B. *Language Universals And Linguistic Typology* 198٠ p 75.
- (١١١) Ibid., p. 16. ولما قصد المركب المعدي هاهو النور الدلالي الذي تلعبه مثلاً كلمة «أخيه» في قوله تعالى ﴿فَمَنْ عَنِّي لَوْ مِنْ أَخِيهِ﴾ البقرة ١٧٨ ، وكلمة «ريد» في ﴿فَوَجَّهْ رَيْدَ يَعْمُرٍ﴾
- (١١٢) Slobin, D. *Psycholinguistics* 1971 p. 122
- (١١٣) Ibid., p. 126.
- (١١٤) يستطيع اجهزة العَصْوي للإنسان أن يميز ما يعرب من ٧٥٠٠٠٠٠٠ طيف لوني انظر
- Höramann, H. *Psycholinguistics* 1971 p 316.
- (١١٥) Ibid., p. 317
- (١١٦) Ibid. p. 319
- (١١٧) Catford, J. C. *A Linguistic Theory of Translation* 1965 p. 51
- (١١٨) Ibid., p. 51 ومن الشائق أن كاتمورد يشير في هذا السباق - إلى صك صبيحة مصروعة (bogop) تكون من الحروف الثلاثة الأولى من ألفاظ الألوان الإنجليزية (blue, green, purple) للدلالة على اللفظ الباقهي doot'iz انظر ص ٤٤
- (١١٩) Crystal, D. *The Cambridge Encyclopedia of Language* 1987 p. 106.
- (١٢٠) Ibid., p. 106.
- (١٢١) Ibid., p. 106.
- (١٢٢) Ibid., p. 106.
- (١٢٣) أقول «إنا أخذنا» ، وهذا التعليق الشرطي مبني على أن هذا المعجم اللوني قد كان ثمرة من ثمار مَرَحَلَة الجمع اللُّعوي بما لا يسها - في الأغلب - من عدم تحديد الانتماءات اللُّهجية ، أو لمراحل الرُّمسة وبالتالي فإن بعض ما يرد عند اللُّعويين - في هذا السباق - لا يمكن تفسيره إلا بأنه ناتج عن استخدامات لهجه مختلفة ومن

الهوامش ١٢٧

ذلك - مثلاً قولهم إن « الصُّفْرَة » معروف (أي هذا اللون المعروف الذي يُطلق مثلاً على لون الرُّغقران والذهب والبرق) والسَوَاد (أي أن الصفرة تعني السواد أيضاً ، ومن ثم فهي من الأضداد) وكذلك قولهم إن « الأحمر » معناه أيضاً « الأبيض » ، انظر الفيروز آبادي القاموس المحيط ، مادة [صَفْرَة ، حُمْرَة] كذلك فإن هذا العدد الهائل من التناقضات النوبية ربما يكون رجحاً إلى هذا التوسُّع الجمعي عبر اللهجات ، وعبر تاريخ تطوُّرها

(١٢٤) الثعالبي حقه اللحن وسر العربية ، ص ٩٧

(١٢٥) المصدر السابق ، ص ٩٧ (١٢٦) المصدر السابق ص ٩٩

(١٢٧) المصدر السابق ، ص ١٠٦

(١٢٨) يرى كارل بروكلمان (حقه اللغات السامية ، ترجمه رمضان عيد التواب ١٩٧٧ ، ص ٣٠) أن « هذه الوفرة التي يحمدها أصحاب المعاجم ، هي قليل أو كثير من المبالغة ، ليست في الحقيقة علامة على الإدراك الواسع ، بل على العكس من ذلك علامة على الإدراك الضيق ، فإن البدوي قد لاحظ ملاحظة صارمة دقائق الطبيعة المحيطة به ، على قدر اتصاله بها شخصياً ، ورمز لهذه الدقائق في تكوين الصحراء ، وخصائص الحيوان ، وغير ذلك ، بكلمات خاصة » ومع إمكان الاختلاف فيما إذا كان ذلك إدراكاً واسعاً أو ضيقاً فإن القضية هي أننا أمام إدراك « مختلف » يقوم على ما يسميه شتراوس في كتابه العنكبوت البري ، ترجمه نظير جاهل ١٩٨٤ ص ٢٧) « أخذ كل شيء في الحسبان » ، وذلك لأن وراء هذه الصعالية اللغوية منطلقاً ثقافياً يرى في سمية كل شيء وصفاً له في مكانه الصحيح (أصلي أو فرعي) في النظام الكوني

(١٢٩) Crystal. D *The Cambridge Encyclopedia of Language* 1987 p. 106

(١٣٠) Hymes. D (ed) : *Language in Culture and Society*. 1964 انظر p. 190.

(١٣١) تعد دراسة بيرلين Berlin وكاي Kay "Basic Color Terms" النموذج الأهم لمثل هذه الانتماءات فبعد دراسة ألفاظ الألوان في ٩٨ لغة توصل المؤلفان إلى أن

هناك قائمة عالمية لأحد عشر نوناً أساسية فقط ، وأن كل هذه اللغات تستخدم هذه القائمة بأكملها ، أو بأقل منها . والمقصود بكنمة « أساسية » - ها - هو أن الألفاظ تكون من صرّقيم واحد فقط (أي يستعد تركيب مثل بُني فاحج) وتتميز بأن استعمالها شائع وعام (ومن ثم استعدت - مثلاً - كلمة « البيلي » التي تدل على لون شجرة اسيله) ، كذلك تتميز بأنها تنطبق على أشياء كثيرة (ومن ثم استعدت مثلاً اللفظ اللوي أشقر لانتطاقه عادة على الشقر فقط) [من الشائق أن يشير هـ إلى أن العرب كانت تصف « النار » بأنها شقرّاء فأبصر ناري وهي شقرّاء أوقدت إلح ، ووقدها شقرّاء إلح انظر بحفظ الحيوان ج ٥ ، ص ٦٣ ٦٤] وتتميز بأنها لا تصوي تحت ألوان أخرى (ومن ثم استعدت اللون القرمري لانصوائه في اللون الأحمر) وهذه الألفاظ الأساسية للألوان تترتب على النحو التالي

أبيض	أحمر	أخضر	أرجواني
أسود	أصفر	د أروق ، بني	وردي
			برنقالي
			رمادي

ومعنى العلامة « أن اللغة التي تمتلك الألفاظ الموجودة على يسار هذه العلامة لا بد أن يكون فيها الألفاظ الموجودة على يمين هذه العلامة » ومع ذلك فإن هذه النظرية ليس مسلماً بها تماماً فبعض اللغات تمتلك اثني عشر لفظاً أساسياً للألوان (الروسية مثلاً) كذلك فقد أشير إلى أن الاعتماد على المعنومات التي يقدمها الرواء لأهلبيوت تمثل مشكلة في مثل هذه الأمور ، وبخاصة عندما يكون ثمة احتمال لتأثر أحكامهم بعرضهم للغات أخرى [انظر فيما سبق Crystal, D., *The Cambridge Encyclopedia of Language* 1987 p. 106] كذلك يشير هورمان إلى أن مفهوم « الألوان الأساسية » يعتمد إحصائية ، وذلك لأنه ليس ثمة أدلة متّقة على أسس فيزيقية للرغم بأن ألواناً معينة هي لألوان أساسية ، وبالتالي فإن السؤال ما هي «الألوان الأساسية يجب أن يعالج أساساً بأعباء مشكله دلاليه انظر

Hörmann, H. *Psycholinguistics*, 1971 p. 317

وأخيراً يشير كومري إلى أن النتائج التي توصل إليها بيرين وكاي قد خصصت

لانتقادات وبهديات مهمة [Comrie, B. *Language Universals and Linguistic* 1981 p 49 وعلى أية حال فإن صدق نظرية بيرين وكاي (أي يعتمد - أساساً على درجة عالية من التجريد ، ويسود ذلك واضحاً في الشروط التي وضعها مفهوم «الأساسية»

Slobin, D. *Psycholinguistics*. 1971 p 129 (١٣٢)

Comrie, B. *Language Universals and Linguistic*. 1981 p 55. (١٣٣) انظر

(١٣٤) بل مما له دلالة في هذا المبدأ تلك الصلة التي تجدها بين الفعل العربي (شده) والأصل لإرمي (شدهان = Shedhan = الحار) انظر جواد علي المصطلح في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٩٧٦ ج ٦ ، ص ٧٢٤

Slobin, D. *Psycholinguistics*. 1971 p 133 (١٣٥)

Greenberg, J (ed.): *Universals of Language*. 1963 (١٣٦) جمعت بحوث هذا المؤتمر في

Slobin, D. *Psycholinguistics* 1971 p. 133. (١٣٧)

Ibid., p. 133 (١٣٨)

Hymes, D. *Toward Ethnographies of Communication* 1972, p 22 (١٣٩)

Ibid., p. 22 (١٤٠)

Ibid p. 33 (١٤١)

Ibid., p. 33. (١٤٢)

Goody, J & Watt, I *The Consequences of Literacy* 1972 p. 349 (١٤٣)

Ibid. p. 349 (١٤٤)

Bernstein, B. *Social Class, Language and Socialization* 1972 p 16. (١٤٥)

(١٤٦) انظر بعد برشتين مفهوم «الأداء» عند شومسكي

Chomsky, N. *Language and Mind* 1972 pp. 160-161

Ibid., p. 161 (١٤٧)

Ibid., p. 162. (١٤٨)

Ibid., p. 164. (١٤٩)

Bernstein, B. *Aspects of Language and Learning in the Genesis of the Social Process* 1964. p. 259 وانظر

Bernstien, B. *Ibid.*, pp. 223-224. (١٥٠) انظر هذه الخصائص في

Ibid., p. 224 (١٥١)

Social Class, Language and Socialization. 1972 p. 164 ff وانظر له

(١٥٢) انظر المرجع السابق في المواضيع المشار إليها

الملاحقة

- ١- ليفي شتراوس مقالات في الإناسة ، ترجمه حسن قبسي ١٩٨٣ ص ١٩١
- ٢- رور ، ستيفن وآخرون علم الأحياء والإثنولوجيا والطبقة البشرية ، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي ١٩٩٠ ص ٢٨
- ٣- انظر Scheek, T. (ed.): *Current Trends in Linguistics* 1972. p. 979
- ٤- أبو إسحق الخريبي (إبراهيم بن إسحاق ٢٨٥ هـ) غريب الحديث ، ص ٢٥٩
- ٥- العبرور آبادي القاموس المحظ مادة [در]
- ٦- عبد المجيد عابدين الأمثال في الشر العربي القديم ١٩٥٦ ص ٨٩
- ٧- فيشر ، إرست ضرورة الفن ، ترجمة أسعد حليم ، ١٩٧١ ص ١٩٦
- ٨- أحمد أمين فجر الإسلام ١٩٨٢ ص ٤٥

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر والمراجع العربية

ابن سيده ، أبو الحسن بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ) المحنص القاهرة ، مطبعة بولاق ،
١٣١٦ هـ

ابن منظور ، جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١ هـ) لسان العرب القاهرة ، دارالمعارف
١٩٧٩

أبو إسحق الخري ، إبراهيم بن إسحق (ت ٢٨٥ هـ) غريب الحديث ، تحقيق سليمان
إبراهيم العابد مكة ، مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى ، ١٩٨٥

أبو حيان التوحيد ، علي بن محمد (ت ٤٠٠ هـ) الإمتاع والمؤانسة ، تصحيح أحمد
أمي ، وأحمد الريس بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٥٣

أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٤٠٠ هـ) الفروق في اللغة ،
تحقيق لجنة إحياء التراث ط ٤ بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٠

أحمد أبو زيد ، حصارة اللغة الكويت ، مجلة عالم الفكر ، ١٩٨٤ مجلد الثاني ،
العدد الأول

أحمد أمين فجر الإسلام ط ١٣ القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية

بروكلمان ، كارل فقه اللغات السامية ، ترجمة رمضان عبد التواب جامعة الرياض ،
١٩٧٧

العمالي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٣٩ هـ) فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق
مصطفى السقا وآخرين القاهرة ، الياي الحسيني ، ١٩٧٢

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون
ط ٢ القاهرة ، الياي الحسيني ، ١٩٦٨

جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ط ٢ بيروت ، دار العلم للملايين ،
١٩٧٦

١٣٢ المصادر والمراجع

- جوريج شريم، منهجية الترجمة التطبيقية، بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٨٢
- حسين فهمي، قصة الأنثروبولوجيا الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٦، العدد ٩٨
- دو موسير، دروس في الألسية العامة، ترجمه صالح القرماذي وآخرين، موس الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥
- رور، متعلم وأخرون، علم الأحياء والإيديولوجيا والطبيعة البشرية، ترجمه مصطفى إبراهيم فهمي، الكويت، عالم المعرفة، العدد ١٤٨، ١٩٩٠
- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٣، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٣
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (ت ٩١١ هـ)، المرمر، تحقيق محمد أحمد حاد المولى وآخرين، القاهرة، الدبي الحلبي، د ت
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (ت ٩١١ هـ)، الأشباه والنظائر، مراجعة وتقديم فابر بريحبي، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤
- عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم، دار مصر، ١٩٥٦
- فنديس، ج، اللغة، ترجمه عبد الحميد الدواخلي ومحمد الفصاح، القاهرة، الأجلو المصرية، ١٩٥٠
- فيجوتسكي، البكير واللغة، ترجمة طلعت منصور، القاهرة، مكتبة الأجلو المصرية، ١٩٧٦
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ)، القاموس المحيط، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧
- فيشر، إرنست، ضرورة الفن، ترجمة أسعد حسم، القاهرة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ١٩٧١
- فيشر، ديتريش، التعبير عن النون في الشعر العربي القديم، بحث مخطوط يهداه من مؤلف خلال زيارته جامعة لمبيا عام ١٩٨٢
- كاكيا، بهر، العريف؛ معجم في مصطلحات النحو العربي، بيروت، مكتبة بساد، ١٩٨٦
- كندراتوف، الأصوات والإشارات، ترجمه شوقي جلال، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢

المصادر والمراجع ١٣٣

- لثقي شتراوس : مقالات في الإناسة ، ترجمة حسن قيسي . بيروت ، دار التنوير ، ١٩٨٣ .
- لثقي شتراوس : الفكر البري ، ترجمة نظير جاهل . بيروت ، المؤسسة الجامعية ، ١٩٨٤ .
- محمد غالي : التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم . الدار البيضاء ، دار توبقال ، ١٩٨٧ .
- محيي الدين محاسب : فطرية اللغة بين الأساس البيولوجي والنظرية اللسانية . القاهرة ، مجموعة ميراثنا للتأليف والبحث العلمي ، ١٩٩٢ .
- هاكيج ، كلود : الترجمة وعالم اللغة ولقاء الثقافات ، ترجمة أحمد عمر هاشم . القاهرة ، مركز مطبوعات اليونسكو ، ١٩٨٨ . مجلة ديوجين ، ع ٨١ .

ثانياً : المراجع الأجنبية

- Arens, H.:** *Aristotle's Theory of Language and Its Tradition.* Amsterdam/Philadelphia, John Benjamins, 1984.
- Bach, E. & Harms, R. (eds.):** *Universals in Linguistics.* Holt, Rinehart and Winston, 1968.
- Berezin, F. M.:** *Lectures on Linguistics.* Moscow, H. S. P. H., 1969.
- Beltz, Ch.:** *Native Tongues.* New York, Grosset & Dunlop, 1982.
- Bernstein, B.:** *Aspects of Language and Learning in The Genesis of The Social Process.* pp. 251-263, in: **Hymes, D., (ed.):** *Language in Culture and Society.* New York, Harper & Row, 1964.
- Bernstein, B.:** *Social Class, Language and Socialization.* pp. 157-178. in: **Giglioli:** *Language and Social Context.* London Penguin Education, 1972.
- Bertalanffy, L.:** *General System Theory.* London, The Penguin Press, 1968.
- Blackburn, S.:** *Spreading The Words: Groundings in The Philosophy of Language.* Oxford, Clarendon Press, 1984.

- Boas, F.:** *"Introduction" To Handbook of Amercian Indian Languages.* pp. 155-234 in: **Hayden, D. et al** (eds.): *Classics In Linguistics.* London, Peter Owen, 1967.
- Bolinger, D.:** *Aspects of Language.* New York, Harcourt Brace Jovanovich, 1975.
- Botha, R.:** *The Conduct of Linguistic Inquiry.* The Hague, Mouton, 1981.
- Brown, R.:** *Wilhelm Von Humboldt's Conception of Linguistic Relativity.* The Hague, Mouton, 1967.
- Carroll, J. (ed.)** *Language, Thought and Reality: Selected Writings of B. L. Whorf.* The M. I. T. Press, Mass, 1956.
- Catford, J. C.:** *A Linguistic Theory of Translation.* Oxford University Press, 1965.
- Chomsky, N.:** *Language and Mind .* New York, Harcourt Brace Jovanovich, 1972.
- Comrie, B.:** *Language Universals and Linguistics Typology.* Oxford, Blackwell, 1981.
- Cooper, D.:** *Philosophy and the Nature of Language.* London, Longman, 1973.
- Crystal, D.:** *The Cambridge Encyclopedia of Language.* Cambridge University Press, 1987.
- Diakonoff, I. M.:** *Semito - Hamitic Languages .* Moscow, N. Pub. House, 1965.
- Elkmever, H., & Rieser, H. (eds.):** *Words, Worlds, and Contexts.* Berlin/ New York, Walter de Gruyter, 1981.
- French, P.:** *Toward an Explanation of Phonetic Symbolism.* pp. 305-322 in: *Word*, V. 28, N. 3, 1977.
- Gligholi, P. (ed.):** *Language and Social Context.* London, Penguin Education, 1972.

- Goody, J. & Watt, L.:** *The Consequences of Literacy*, in: **Giglioli:** *Language and Social Context*. London, Penguin Education, 1972.
- Greenberg, J. (ed.):** *Universals of Language*. M. I. T. Press, 1963.
- Greenberg, J.:** *Language Universals*. The Hague, Mouton, 1966.
- Harman, G. (ed.):** *On Noam Chomsky: Critical Essays*. The University of Mass. Press, 1982.
- Holjer, H.:** *Cultural Implications of Some Navaho Linguistics Categories*. pp. 142-153 in: **Hymes, D. (ed.):** *Language in Culture and Society*. New York, Harper & Row, 1964.
- Hörmann, H.:** *Psycholinguistics*. Berlin, Springer-Verlag, 1971.
- Hymes, D. (ed.):** *Language in Culture and Society*. New York, Harper & Row, 1964.
- Hymes, D.:** *Toward Ethnographies of Communication: The Analysis of Communicative Events*. pp. 21- 44, in **Giglioli:** *Language and Social Context*. London, Penguin Education, 1972.
- Jackson, H.:** *Words and Their Meaning*. London, Longman, 1988.
- Jespersen, O.:** *Language*. London, George Allen & Unwin, 1969.
- Kim, Kong On:** *Sound Symbolism in Korean*. Journal of Linguistics. V. 19, No. 1, 1977.
- Lado, R.:** *Linguistics Across Cultures*. The University of Michigan Press, 1968.
- Land, S.:** *From Signs to Propositions*. London, Longman, 1974.
- Lehrer, A.:** *Semantic Fields and Lexical Structure*. North-Holland Pub. Comp. 1974.
- Lenneberg, E. (ed.):** *New Directions in the Study of Language*. The M. I. T. Press, Mass., 1964.
- Lenneberg, E.:** *Biological Foundations of Language*. New York, John Wiley, 1967.
- Lyons, J.:** *Semantics*. Cambridge University Press, 1977.

- Mathiot, M.:** *Noun Classes and Folk Taxonomy in Papago*. pp. 154-163, in: **Hymes (ed.):** *Language in Culture and Society*. 1964.
- Mathiot, M.:** *Semantic and Cognitive Domains of Language*. pp. 249-276 in: **Garvin, P. (ed.):** *Cognition: A Multiple View*. New York, Spartan Books, 1970.
- Miller, G.:** *Language and Speech*. W. H. Freeman and Comp. San Francisco, 1981.
- Myers, T. et al (eds.):** *The Cognitive Representation of Speech*. North-Holand Pub. Comp., 1981.
- Nida, E.:** *Linguistics and Ethnology in Translation Problems*. pp. 90-100, in: **Hymes (ed.):** *Language in Culture and Society*. 1964.
- Nida, E.:** *Componential Analysis of Meaning*. The Hague, Mouton, 1975.
- Palmer, F.:** *Grammar*. London, Penguin Books, 1971.
- Parkin, D. (ed.):** *Semantic Anthropology*. London, Academic Press, 1982.
- Penn, J.:** *Linguistic Relativity Versus Innate Ideas*. The Hague, Mouton, 1972.
- Robins, R.:** *A Short History of Linguistics*. London, Longman, 1979.
- Sapir, E., 1970 & Sebeok, T. (ed.) 1972:** *Current Trends in Linguistics*. (V.9), Mouton, The Hague.
- Slobin, D.:** *Psycholinguistics*. New York, Scott, Foresman and Company, 1971.
- Trudgill, P.:** *Sociolinguistics*. London, Penguin Books, 1974.
- Ullmann, S.:** *Semantics*. Oxford, Basil Blackwell, 1962.
- Versteegh, C.:** *Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking*. Leiden, Brill, 1977.
- Werner, O.:** *Cultural Knowledge, Language, and World View*. London, 1970. pp. 155-175.